

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العلم النافع طريقًا موصلًا لرضاه، وصراطًا يتبعه من أراد هداه، ويحيد عنه من ضل واتبع هواه، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾[القصص:٥٠]، ونشهد أن لا إله إلا الله رفع شأن العلم وأهله حتى وصلوا من المجد منتهاه، ومن العز أعلى ذراه، فمن سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا؛ سهل الله له به طريقًا إلى جنته وعلاه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهداة التقاة، ومن سار على نهجه إلى يوم لقاه.

أما بعد:

فهذا هو **الكتاب الثالث**(١) من المنهجية العلمية التأصيلية للتميز التي نرجو أن تعين طالب العلم، وتأخذ بيده إلى طريق واضح نَيِّر لينشد غايته من العلم الشرعي الصحيح على ضوء الكتاب والسنة بخطوات ثابتة مدروسة.

ومنهجية التميز تُرَكِّزُ على جوانب غاية في الأهمية في مسيرة طالب العلم نحو هدفه، ومن تلك الجوانب:

- اختيار أبرز وأهم المتون العلمية وشرحها شرحًا مناسبًا يقرب العلم ويسهل إتقانه.
- توفير كتب الشروح مع وضع خطة للمراجعة المستمرة لكافة الشروحات بشكل دوري.

---

(١) أصل هذا الكتاب دروس في شرح الواسطية ألقاها الشيخ/ د. عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل بجامع العودة ببريدة عام (١٤٢٩هـ)، فقام الطلاب بتفريغها، ثم جرى عليها قلم التعديل والتهذيب والإضافة.

- رعاية طالب العلم مع متابعته في مسيرته من خلال سجل خاص بكل طالب علم.
- المتابعة والتواصل مع الطلاب عن طريق رسائل الجوال.
- وضع البرامج والخطط العلمية الإضافية لمن يجد لديه همةً وطموحًا وسعةً من الوقت.
- طرح برامج علمية تتمثل في:
  - برنامج حفظ المتون أو الصحيحين.
  - برنامج المناقشة العلمية لشروح المنهجية.
  - برنامج القراءة الحرة والاطلاع على كتب الأئمة المحققين، كابن تيمية وابن القيم وغيرهما.

وهذه البرامج الثلاثة اختيارية، ويراعى فيها المستوى العلمي ووفرة الوقت لدى طالب العلم.

- الاهتمام بالجوانب الإيمانية والسلوكية والخُلُقِيَّة من خلال الدروس واللقاءات العلمية.
- إعانة طالب العلم وتذليل العقبات أمامه من خلال الجلسات العامة والفردية؛ لمعالجة عوائق الطلب، وأدواء الطريق، كالاضطراب في المنهج والتشتت في التلقي مع تقديم المناهج العلمية الـمُعِينَة على التحصيل في كافة مسارات العلم.
- لطالب العلم الراغب في الالتحاق بالمنهجية إمكانية اللحاق واستدراك ما فاته وذلك بالتواصل مع اللجنة العلمية من خلال الجوال الخاص بالمنهجية، أو التواصل المباشر مع د. عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل،

ويفضل الحضور لأجل المتابعة بشكل دوري ثابت حسب ظروف المشارك، ويمكن لطالب العلم الذي لا يتمكن من الحضور - سواء في منطقة القصيم أو خارجها أو خارج المملكة - الالتحاق بالمنهجية وذلك بتوفير شروح المنهجية له، ومتابعته في قراءتها وإتقانها من خلال التواصل عن طريق جوال المنهجية أو موقع مركز النخب العلمية على الشبكة العالمية.

أمدنا الله وإياكم بالعلم النافع، ووهبنا من لدنه رحمة وفضلًا.

قسم المطبوعات بمركز النخب العلمية
جوال: ٠٥٠١٥٣٦٠٦٢
جوال المنهجية: ٠٥٣٠١٢٣١٢٧
البريد الإلكتروني: al_khaleefa@hotmail.com

ترجمة موجزة
لشيخ الإسلام ابن تيمية

❁ اسمه ونسبه:

هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية النميري نسبًا، الحرَّاني مولدًا، ثم الدمشقي منشأً، الحنبلي مذهبًا، المكنى بأبي العباس، والملقب بشيخ الإسلام، وتقي الدين، والمعروف بابن تيمية.

❁ مولده ونشأته وطلبه للعلم:

وُلِدَ ابن تيمية رحمه الله بحَرَّان يوم الإثنين ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١هـ، ونشأ بها، ثم هاجر مع أسرته إلى دمشق عام ٦٦٧هـ فرارًا من ظلم التتار.

وقد نشأ رحمه الله في أسرة علمٍ ودين وفضل، فآباؤه وأجداده وإخوانه كانوا من العلماء المعروفين.

حفظ القرآن الكريم في صغره، وأخذ العلم عن عددٍ من العلماء، فأتقن التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية وغيرها من العلوم في سِنٍّ مُبَكِّرة، وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وأفتى وأَلَّفَ في سن السابعة عشرة، ودرَّس في الحادية والعشرين من عمره، بعد وفاة والده.

❁ شيوخه:

تتلمذ ابن تيمية رحمه الله على أكثر من مائتي شيخ، منهم:

١- أبو محمد عفيف الدين عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس العلثي ثم البغدادي (ت:٦٨٥هـ).

٢- أبو إسحاق تقي الدين إبراهيم بن علي بن أحمد الصالحي الواسطي الحنبلي (ت:٦٩٢هـ).

٣- شرف الدين المقدسي أحمد بن كمال الدين أحمد بن نعمة الشافعي (ت:٦٩٤هـ).

٤- أبو البركات زين الدين المنجا بن عثمان بن أسعد التنوخي الدمشقي (ت:٦٩٥هـ).

٥- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبد القوي بن بدران المقدسي، المداوي (ت:٦٩٩هـ).

٦- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إسماعيل بن أبى سعد الشيباني الآمدي (ت:٧٠٤هـ).

تلاميذه:

تتلمذ على شيخ الإسلام عدد كبير من العلماء، منهم:

١- أبو عبد الله شرف الدين محمد بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي، الدمشقي (ت:٧٢٤هـ).

٢- جمال الدين يوسف بن عبد المحمود بن عبد السلام البتي الحنبلي البغدادي، المقرئ الفقيه (ت:٧٢٦هـ).

٣- يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج جمال الدين القضاعي الكلبي المزي (ت:٧٤٢هـ).

٤- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الصالحي الحنبلي (ت:٧٤٤هـ).



٥- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، الذهبي التركماني، ثم الدمشقي (ت:٧٤٨هـ).

٦- أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن موسى بن خليل البغدادي الأزجي البزار (ت:٧٤٩هـ).

٧- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ).

٨- أبو العباس شرف الدين أحمد بن حسن بن عبد الله بن عمر الصالحي الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن قاضي الجبل (ت:٧٧١هـ).

٩- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير، البصري ثم الدمشقي الشافعي (ت:٧٧٤هـ).

۞ عقيدته ومذهبه:

شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ من أئمة المنهج السلفي، الذين نشروا معتقد أهل السنة والجماعة ودافعوا عنه، وخير شاهد على ذلك كتبه في العقيدة التي تلقاها العلماء سلفًا وخلفًا بالقبول.

وأما مذهبه الفقهي فهو ينتسب إلى مذهب الحنابلة في الجملة، لكنه لم يتعصب له، بل خالفه في كثير من اختياراته، ويؤكد ذلك قوله في مجموع الفتاوى[(١)]: «مع أني في عمري إلى ساعتي هذه لم أَدْعُ أحدًا قط في أصول

(١) (٣/ ٢٢٩).

الدين إلى مذهب حنبلي وغير حنبلي، ولا انتصرت لذلك، ولا أذكره في كلامي، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها».

۞ مؤلفاته وآثاره العلمية:

ترك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ثروة علمية كبيرة قيمة، ضَمَّنَهَا في مؤلفاته وآثاره، منها ما وصل إلينا ومنها ما لم يصل، ولكن المصادر التي ترجمت له، والعلماء الذين نقلوا عنه في كتبهم احتفظوا لنا بأسماء بعضها، وفيما يلي ذكر لأهمها وأشهرها:

١) الإخنائية أو الرد على الإخنائي.

٢) الاستقامة.

٣) إقامة الدليل على إبطال التحليل.

٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم.

٥) الإيمان.

٦) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية.

٧) بيان تلبيس الجهمية.

٨) التحفة العراقية.

٩) التدمرية.

١٠) التسعينية.

١١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

١٢) الحسبة في الإسلام.

١٣) درء تعارض العقل والنقل.



١٤) الرد على المنطقيين.

١٥) الرسالة العرشية.

١٦) رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

١٧) شرح العقيدة الأصفهانية.

١٨) شرح حديث النزول.

١٩) شرح عمدة الفقه.

٢٠) الصارم المسلول على شاتم الرسول.

٢١) الصفدية.

٢٢) العبودية.

٢٣) العقيدة الواسطية.

٢٤) الفتاوى الكبرى.

٢٥) الفتاوى المصرية.

٢٦) الفتوى الحموية الكبرى.

٢٧) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

٢٨) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة.

٢٩) القواعد النورانية الفقهية.

٣٠) مجموع الفتاوى.

٣١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية.

٣٢) النبوات.

٣٣) نقد مراتب الإجماع.

٣٤) نقض المنطق.

٣٥) الواسطة بين الحق والخلق.

۞ مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مكانة عظيمة عند الناس؛ ولهذا لهج العلماء - قديمًا وحديثًا - بالثناء عليه، وفيما يلي ذكر لبعض أقوالهم:

قال ابن دقيق العيد (ت:٧٠٢ هـ): «لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلًا العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد»[(١)].

وقال الـمِزِّي (ت:٧٤٢هـ): «ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه»[(٢)].

وقال الذهبي (ت:٧٤٨هـ): «ما رأيت أحدًا أسرع انتزاعًا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضارًا لمتون الأحاديث، وعزوها إلى الصحيح أو المسند أو إلى السنن منه، كأن الكتاب والسنن نصب عينيه وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة، وعين مفتوحة، وإفحام للمخالف»[(٣)].

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤ هـ): «قلَّ أن سمع شيئًا إلا حفظه ... وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه، ورآه عارفًا به متقنًا له»[(٤)].

---

(١) الرد الوافر ص (٥٩).

(٢) العقود الدرية ص (٢٣).

(٣) ذيل تاريخ الإسلام للذهبي ص (٢١-٢٣).

(٤) البداية والنهاية (١٤/ ١٥٧).



وقال أبو البقاء السبكي (ت:٨٤٢هـ): «ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى»[(١)].

محنته:

لقد نال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله صنوفًا من الأذى، وأنواعًا من المحن كغيره من المصلحين الذين أوذوا في ذات الله من العلماء والأئمة، وقبلهم الأنبياء والرسل وهذه سنة جارية.

فمنزلة شيخ الإسلام العالية، وشهرته الكبيرة دفعت خصومه والناقمين عليه إلى إلصاق التهم به، وتأليب الحكام عليه، حسدًا من عند أنفسهم؛ فكانت النتيجة سجنه رحمه الله سبع مرات، كانت الأخيرة منها بقلعة دمشق لمدة عامين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يومًا بسبب فتوى له في مسألة شد الرحال إلى قبر النبي ﷺ زاعمين أنه ينتقص جناب الأنبياء والأولياء، وحاشاه من ذلك.

وفاته:

توفي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ليلة الإثنين ٢٠ ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ) بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسًا بها[(٢)].

---

(١) الرد الوافر ص (٢٤).

(٢) ينظر: العقود الدرية ص (٣٨٥)، وتاريخ الإسلام (٤٩/ ٩٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٨٩)، وتاريخ ابن الوردي (٢/ ٢٧٥)، والأعلام العلية ص (١٦-٢٩)، والبداية والنهاية (١٤/ ١٥٦)، والرد الوافر ص (٥٩)، والبدر الطالع (١/ ٦٣)، والجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون ص (٥-٧٤٥).

نبذة تعريفية بالعقيدة الواسطية

۞ نسبة العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام:

لا شك في صحة نسبة العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ بل توافرت الأدلة على ثبوت نسبتها إليه، ويؤكد ذلك الحقائق التالية:

١- تصريح شيخ الإسلام بتأليفه لها كما في مجموع الفتاوى[١]، وهذا سيد الأدلة.

٢- أن كثيرًا من الذين ترجموا لشيخ الإسلام ابن تيمية نسبوا له هذه العقيدة[٢].

٣- لم ينسبها أحد من الناس لغير شيخ الإسلام ابن تيمية.

۞ سبب تأليفها:

سبب تأليف هذه العقيدة، ذكره شيخ الإسلام بنفسه، حيث قال: «هذه كان سبب كتابتها أنه قدم عليَّ من أرض واسط[٣] بعض قضاة نواحيها - شيخ يقال له: (رضي الدين الواسطي) من أصحاب الشافعي - قدم علينا حاجًا وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد وفي دولة التَّتَر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته، فاستعفيت من ذلك وقلت: قد كتب الناس عقائد متعددة؛ فخذ بعض عقائد أئمة السنة، فَأَلَحَّ في السؤال وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٤).

(٢) ينظر: العقود الدرية ص (٦٨)، والدرر الكامنة (١/ ١٨٠)، والبدر الطالع (١/ ٦٦)، والعبر (٤/ ١١)، ومرآة الجنان (٤/ ١٨٠)، والبداية والنهاية (١٤/ ٤٢).

(٣) **واسط**: مدينة بالعراق، بناها الحجاج ين يوسف، وسميت بذلك؛ لأنها وسطٌ بين البصرة والكوفة. ينظر: معجم البلدان (٥/ ٣٤٧).



العصر[(١)]، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة؛ في مصر؛ والعراق؛ وغيرهما»[(٢)].

❁ **سبب تسميتها بالواسطية:**

هي نسبة إلى مدينة (واسط) كما في سبب تأليفها المذكور آنفًا، حيث كُتِبَتْ هذه العقيدة لأهلها، وأول من أطلق عليها هذا الاسم شيخ الإسلام نفسه، حيث قال - في حكايته للمناظرة التي حصلت له مع أهل الكلام -: «... ثم أرسلت من أحضرها ومعها كراريس بخطي من المنزل فحضـرَتْ، العقيدة الواسطية»[(٣)].

وقال بعضهم: هي نسبة إلى الوسطية - أي وسطية أهل السنة والجماعة - ولا شك أنها عقيدة وسطية، ولكن نسبتها إلى واسط هو الصواب؛ ولأنه لو كانت نسبتها إلى الوسطية لسُمِّيتْ (العقيدة الوسطية)، لا الواسطية؛ وقد جاء في غلاف بعض الطبعات المصـرية (العقيدة الوسطية) ولعله سهوٌ، أو اعتقاد أنها نسبة إلى الوسطية، وكل ذلك غير صحيح.

❁ **تاريخ تأليفها:**

أُلِّفتْ العقيدة الواسطية في حدود سنة (٧٩٢هـ)؛ لأن شيخ الإسلام قال في حكايته للمناظرة مع أهل الكلام: «أنا أعلم أن أقوامًا يكذبون عليَّ؛ كما قد كذبوا عليَّ غير مرة، وإن أمليت الاعتقاد من حفظي: ربما يقولون كتم بعضه؛ أو داهن وداری، فأنا أحضر عقيدة مكتوبة؛ من نحو سبع سنين

---

(١) ألفها في جلسة، ومن العجيب أن بعضهم يمكث في شرحها سنين، وهذا من بركة العلم، فقد بارك الله للشيخ في علمه، وفتح عليه في العلم الجم والقلم السيال، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الجمعة:٤].

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٤).

(٣) المصدر السابق (٣/ ١٦٣)،١٦٤).

قبل مجيء التتر إلى الشام»[١]، يقصد بذلك العقيدة الواسطية، ومجيء التتر كان سنة (٦٩٩هـ)، فإذا أضيفت إليها سبع سنين صارت (٧٩٢هـ).

موضوعها:

اشتملت العقيدة الواسطية على عدد من موضوعات العقيدة، منها: مسائل الأسماء والصفات، ووسطية أهل السنة والجماعة، ومسائل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، وحقوق الصحابة وآل البيت، وكرامات الأولياء، وطريقة أهل السنة في السلوك والعمل، وغيرها من المسائل التي هي من أصول مذهب أهل السنة والجماعة، وقد تخلل هذه المسائل بعض القواعد الجامعة في العقيدة.

قال شيخنا ابن عثيمين ﵀ في شرحه للقواعد المثلى: «إن قال قائل: ما الفرق بين هذا - أي القواعد المثلى - وبين ما قرأناه من العقيدة الواسطية؟

الجواب: الفرق أن العقيدة الواسطية يتكلم فيها المُصَنِّف ﵀ عن المسائل وربما يشير إلى القواعد، لكن الأصل أنه إنما يتكلم عن المسائل، أما هذه فإنها تبحث في القواعد العامة، بقطع النظر عن كل مسألة بعينها، فبينهما فرق، يشبه الفرق بينهما ما بين أصول الفقه والفقه؛ لأن هذه قواعد وما ذكره المُصَنِّف ﵀ في الواسطية مسائل»[٢].

قيمتها العلمية:

تتمثل القيمة العلمية للعقيدة الواسطية في أمور، أبرزها ما يلي:

١- تلقي العلماء وطلبة العلم لها بالقبول وثناؤهم عليها، في القديم

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٢).

(٢) شرح الواسطية لابن عثيمين الشريط الأول، الوجه الأول.



والحديث، قال الذهبي رحمه الله في حكاية مناظرة شيخ الإسلام: «ووقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد»[(١)].

وقال العلامة ابن رجب رحمه الله أيضًا: «ووقع الاتفاق ... على أن هذه عقيدة سُنية سلفية»[(٢)].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «جمعت على اختصارها ووضوحها جميع ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان وعقائده الصحيحة»[(٣)].

وقال شيخنا الشيخ ابن باز رحمه الله: «ومن كتب العقيدة المهمة كتاب (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية فهو كتاب جليل مختصر عظيم الفائدة في مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة»[(٤)].

وقال شيخنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله - وهو يوصي ببعض الكتب المهمة -: «كتاب (العقيدة الواسطية) وتتضمن توحيد الأسماء والصفات، وهي من أحسن ما ألف في هذا الباب، وهي جديرة بالقراءة والمراجعة»[(٥)].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة[(٦)]: «أما كتاب (العقيدة الواسطية) فهو كتاب جليل مشتمل على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة بالأدلة من الكتاب والسنة، فنوصيك باعتقاد ما فيه والدعوة إلى ذلك».

---

(١) نقله ابن عبد الهادي في العقود الدرية ص (٢١٢).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥١١).

(٣) التنبيهات اللطيفة ص (١٣).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٢٧/ ٣٩٦).

(٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٦/ ٣٤١)، وكتاب العلم له ص (٧٠).

(٦) (٢/ ٢٤٢).

٢- جلالة مؤلفها، الذي يعد من أئمة أهل السنة والجماعة ومن أكبر المنافحين والمدافعين عن الحق وعن عقيدة السلف، وقد كتب الله له القبول فطبق علمه الآفاق وذاع صيته في كافة المدن والأعماق.

٣- أَنَّ الـمُصَنِّف رحمه الله حشد في هذه الرسالة من نصوص الوحيين ما يشفي ويكفي[١]؛ ولذا جاءت بعض الأبواب والفصول ليس فيها غير الآيات والأحاديث، وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام بنفسه، فقال: «تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة»[٢]، وقال أيضًا: «وكل لفظ ذكرته فأنا أذكر به آية أو حديثًا أو إجماعًا سلفيًا»[٣].

٤- أَنَّ الـمُصَنِّف رحمه الله تحرى في هذه العقيدة ما أجمع عليه سلف هذه الأمة من القرون المفضلة ومن بعدهم، لذلك جاءت محكمة متقنة؛ ويقول في ذلك: «وقلت مرات: قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فإن جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبي ﷺ ... يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك»[٤].

❁ شروحها والتعليقات عليها:

لقد اعتنى العلماء وطلبة العلم بهذه العقيدة حفظًا، وتدريسًا، وقد شرحت بشروح كثيرة منها:

---

(١) وهذا فيه فائدة لطالب العلم وهي أن يدعم ما يقول ويكتب بنصوص الكتاب والسنة، وأن لا يكون كلامه خاليًا منهما؛ فيصير جافًا بدونهما.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٥).

(٣) المصدر السابق (٣/ ١٨٩).

(٤) المصدر السابق (٣/ ١٦٩).



١- **التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة:** للشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت:١٣٧٦هـ).

٢- **التعليقات السَّنِيَّة على العقيدة الواسطية:** الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك (ت:١٣٧٦هـ).

٣- **شرح العقيدة الواسطية:** من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت:١٣٨٩هـ)، كتبها ورتبها: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

٤- **شرح العقيدة الواسطية:** للشيخ محمد خليل هرَّاس(ت:١٣٩٥هـ).

٥- **حاشية على العقيدة الواسطية:** للشيخ محمد بن عبد العزيز بن محمد ابن مانع (ت:١٣٩٤هـ).

٦- **الروضة النديَّة شرح العقيدة الواسطية:** للشيخ زيد بن عبد العزيز ابن فياض (ت:١٤١٦هـ).

٧- **التَّنبيهات السنيَّة على العقيدة الواسطية:** للشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد (ت:١٤١٨هـ).

٨- **شرح العقيدة الواسطية:** للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت:١٤٢١هـ).

٩- **الكواشف الجليَّة عن معاني الواسطية:** للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان (ت:١٤٢٢هـ).

١٠- **الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية:** للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان أيضًا (ت:١٤٢٢هـ).

١١- **شرح العقيدة الواسطية:** للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

١٢- **التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية:** للشيخ عبد الله ابن عبد الرحمن الجبرين (ت:١٤٣٠هـ).

١٣- **توضيح مقاصد العقيدة الواسطية**: للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك.

١٤- **اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية**: لمعالي الشيخ صالح ابن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ.

١٥- **الأسئلة النجدية على العقيدة الواسطية**: للشيخ محمد بن علي ابن سليمان الرُّوق.

١٦- **الفوائد السنية على العقيدة الواسطية**: للشيخ عبد الله بن صالح ابن محمد القصير.

١٧- **شرح العقيدة الواسطية**: للشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

١٨- **التعليقات المفيدة على العقيدة الواسطية**: للشيخ عبد الله ابن عبد الرحمن بن علي الشريف.

١٩- **شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية**: للشيخ خالد بن عبد الله المصلح.

٢٠- **شرح العقيدة الواسطية**: للشيخ خالد بن عبد الله باحميد الأنصاري.

٢١- **الجلسات الطلابية لشرح العقيدة الواسطية**: لشيخنا عبد الله بن محمد الغنيمان.

○○○



قال الـمُصَنِّف رحمه الله: بِسْمِ الله ....

○ **قوله:** «**بِسْمِ اللهِ**» ابتدأ الـمُصَنِّف هذه الرسالة بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز، حيث جاءت البسملة في بداية سور القرآن؛ واقتداءً بالنبي ﷺ في مكاتباته كما في كتابه لهرقل، حيث ابتدأ بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)، فعن ابن عباس أن أبا سفيان أخبره، قال: «**دَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ فَأَجْلَسَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الهدَى أَمَّا بَعْدُ**»[١].

أما الحديث الشهير، الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم أَقْطَعُ**»[٢]، وفي رواية: «**أبتر**»[٣]، وفي رواية: «**لا يُبْدَأ فِيهِ بِالحَمْدِ لله فَهُوَ أَقْطَع**»[٤] فهو غير صحيح، ولا يثبت في البسملة والحمدلة عن النبي ﷺ شيءٌ.

«**بِسْمِ اللهِ**»: (الباء) للاستعانة، أراد الـمُصَنِّف أن يستعين بالله تعالى على تأليف هذه الرسالة، والاستعانة بالله على شؤون العبد العامة والخاصة من أسباب التوفيق والسعادة.

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٨) رقم (٧)، وصحيح مسلم (٣/ ١٣٩٣) رقم (١٧٧٣).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٦٩).

(٣) هذه الرواية عند عبد القادر الرهاوي في كتاب الأربعين ص (٥).

(٤) هذه الرواية عند أبي داود (٤/ ٢٦١) رقم (٤٨٤٠)، وابن ماجه (١/ ٦١٠) رقم (١٨٩٤)، والدارقطني (١/ ٤٢٧) رقم (٨٨٣)، وابن حبان (١/ ١٧٣) رقم (١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢١٤) رقم (٤٠٦٢)، وإسناده ضعيف، قال أبو داود: «رواه يونس، وعقيل، وشعيب، وسعيد بن عبد العزيز، عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلًا».

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

الحمْدُ لله ....

يقول ابن القيم رحمه الله: «الاستعانة تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه، مع أنه غير واثق به»[1].

○ **قوله:** «**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»: اسمان كريمان لله عز وجل من أسمائه الحسنى يدلان على صفة الرحمة لله جل وعز، والفرق بينهما أن «**الرَّحْمَنِ**»: ذو الرحمة العامة لجميع الخلق، و«**الرَّحِيمِ**»: ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣].

○ **قوله:** «**الحمْدُ لله**»: معناها وصف المحمود بأوصاف الكمال، مع المحبة والتعظيم والإجلال، وجميع أوصاف الكمال ثابتة لله تعالى على أتم الوجوه وأكملها.

❑ **وما الفرق بين الحمد والمدح؟**

الجواب: قال ابن القيم: الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه، بخلاف المدح فإنه إخبار مجرد[2]؛ ولهذا نجد الفقير يمدح الغني لكن لا يلزم من ذلك حبه، بل يريد منفعته وعطاءه، بخلاف الحمد فهو مرتبط بالحب والتعظيم؛ ولهذا لا يصرف الحمد إلا لله عز وجل، وأما المدح فيكون لله ولغيره.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٩٦).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٣٢٥ - ٣٢٧) بتصرف.

❍ **قوله :** «**الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ**» (الرسول) **لغة**: من بعث برسالة.

وشرعًا: إنسان ذكر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

ما المراد بالرسول هنا؟ هل المراد محمد ﷺ أم المراد جنس الرسول؟

كلاهما محتمل، فيحتمل أن يكون المراد جنس الرسول، ويحتمل أن يكون المقصود سيد البشر عليه الصلاة والسلام، الذي ختم الله به الأنبياء وفضله عليهم وعلى الخليقة، وقد أتم به البناء كما في الحديث الذي في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «**أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**»[1].

❍ **قوله :** «**الهدَى**» الهدى: العلم النافع، والعلم نوعان:

١- علم نافع.

٢- علم غير نافع.

فالعلم النافع: هو ما يُقَرِّبُ إلى الله عز وجل، وقد كان ﷺ يكثر من دعاء: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٩٠) رقم (٢٢٨٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤٤/ ١٤٠) رقم (٢٦٥٢١)، وابن ماجه (١/ ٢٩٨) رقم (٩٢٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

وَدِينِ الحقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ....

فعليك يا طالب العلم بالإكثار من هذا الدعاء، واضمم إليه دعائيين آخرين عظيمين: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»[1]، «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**»[2].

فهذه ثلاثة أدعية جامعة مباركة لا يستغني عنها مبتغي العلم النافع.

والعلم غير النافع: وهو ما لا ينفع الإنسان في الآخرة، فكل علم لا يقرب صاحبه إلى الله ولا ينفعه في الآخرة فهو من العلم الذي لا ينفع.

○ **قوله**: «**وَدِينِ الحقِّ**» المراد به العمل الصالح؛ لأن الدين هو العمل أو الجزاء على العمل، فمن إطلاقه على العمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]. ومن إطلاقه على الجزاء قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾[الانفطار:١٧].

○ **قوله**: «**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**» نوع اللام هنا للتعليل، أي: كي يظهره على الدين كله.

وأين يعود الضمير في قوله: «لِيُظْهِرَهُ»؟

قال أكثر أهل العلم: هو عائد على الدين، وقال جماعة: إنه عائد على الرسول ﷺ، ولا مانع من القول بهما؛ لأن هذا الدين جاء به الرسول ﷺ فهما متلازمان فنصرة هذا وظهوره نصرة لذاك.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٤٩) رقم (٢١٤٠)، وابن ماجه (٢/ ١٢٦٠) رقم (٣٨٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديثٌ حسن».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٠/ ٢٦٥) رقم (١٨٣٥١)، والنسائي (٣/ ٥٤) رقم (١٣٠٥) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا ....

فتكون هذه الرفعة وهذا الظهور الذي كتبه الله شاملًا للرسول ولدين الإسلام الذي جاء به، فمن تمسك بهذا الدين الحق فسيظهره الله وينصره كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

○ **قوله:** «**وَكَفَى بالله شَهِيدًا**» أي: شاهدًا للرسول ﷺ بأنه حق، وهو سبحانه ناصره ومظهره.

وفي هذا دلالة قاطعة على صدق النبي ﷺ إذ لو كان مفتريًا على ربه لما كان له هذا النصر، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٧].

○ **قوله:** «**وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ**» هذه كلمة الإخلاص، وكلمة الإخلاص لها ركنان: النفي والإثبات. «**لا إله**»: نفي أي: نفي جميع ما يعبد من دون الله. «**إِلا اللهُ**»: إثبات أي: إثبات العبادة لله وحده لا شريك له.

❑**وهذه الشهادة لها عدة شروط:**

١) **العلم المنافي للجهل**: أي العلم بمعنى هذه الشهادة، والعلم هنا لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته بما طُلِبَ منه علمه، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، ومن السنة قوله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ دَخَلَ الجنَّةَ**»[1].

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٥) رقم (٢٦) من حديث عثمان بن عفان ﷺ.

....

٢) **اليقين المنافي للشك**: أي: استيقان القلب بهذه الكلمة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحُجُرات:١٥]، وقد جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»(١).

٣) **الإخلاص المنافي للشرك**: قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، والأحاديث الواردة كثيرة من أشهرها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**»(٢).

٤) **الصدق المنافي للكذب**: وهو أن يقولها صادقًا من قلبه يواطئ قلبه لسانه، ويدل لذلك ما جاء في الصحيحين عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**»(٣).

٥) **المحبة المنافية للبغض**: وهو أن يحب هذه الكلمة، ويحب العمل بمقتضاها، ويحب أهلها العاملين بها، ودليل المحبة ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ**

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٠) رقم (٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣١) رقم (٩٩).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٣٨) رقم (١٢٨)، وصحيح مسلم (١/ ٦١) رقم (٣٢).

إلا لله وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

٦) الانقياد المنافي للترك، ظاهرًا وباطنًا: لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان:٢٢].

٧) القبول المنافي للرد: لقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وقد نظم بعض العلماء هذه الشروط، فقال:

عِلْمٌ يَقِينٌ وإِخْلاصٌ وصِدْقُكَ مَع ... مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالقَبُولِ لهَا

وزاد بعض العلماء في شروط «لا إله إلا الله» شرطًا ثامنًا وهو: الكفر بما يعبد من دون الله، ونظم بعضهم زائدًا على البيت الأول:

وَزِيدَ ثَامِنُهَا الكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا ... سِوَى الإِلهِ من الأَوْثَانِ قَدْ أُلِهَا

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة:٢٦٥]، وبما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ الله، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله**»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٢) رقم (١٦)، وصحيح مسلم (١/ ٦٦) رقم (٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٣) رقم (٢٣).

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،..................................

والذين قسموا شروط «لا إله إلا الله» إلى سبعة أدخلوا شرط (الكفر بما يعبد من دون الله) ضمن الإخلاص[1].

○ **قوله:** «**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا**» جعل الشهادة للرسول بالعبودية والرسالة مقرونة بشهادة: «أن لا إله إلا الله» للإشارة إلى أنه لا بد من الجمع بينهما، وأنه لا تغني إحداهما عن الأخرى.

□ **ما حكم من شهد أن لا إله إلا الله، ولم يشهد بأن محمداً رسول الله؟**

الجواب: هذا كفر، وصاحبه من أهل النار، والدليل ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[2].

○ **قوله:** «**عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» هنا وصف النبي ﷺ بوصفين:

١) العبودية لله ﷻ.

٢) الرسالة.

وقد أشار الـمُصَنِّف رحمه الله بهاتين الكلمتين إلى وجوب الاعتدال في حق النبي ﷺ، ففيها رد على أهل الغلو الذين غلوا في النبي ﷺ ورفعوه فوق منزلته، وفيها أيضًا رد على أهل التفريط الذين يشهدون بأنَّ محمدًا رسول الله لكن لا يستجيبون لأمره، ولا يمتثلون سنته.

---

(١) ينظر: الدروس المهمة لعامة الأمة لشيخنا ابن باز ص (٦).

(٢) صحيح مسلم (١/ ١٣٤) رقم (١٥٣).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

○ **وقوله:** «عَبْدُهُ» رد على أهل الغلو الذين غلوا في النبي ﷺ، كما يفعله غلاة المتصوفة الذين يجعلون له بعض ما هو من خصائص الله.

○ **وقوله:** «وَرَسُولُهُ» رد على أهل التفريط الجفاة.

○ **قوله:** «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ» الصلاة: في اللغة الدعاء، قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣] المراد: أدعُ لهم.

واختلف أهل العلم في المراد بصلاة الله على رسوله وأصح ما قيل في ذلك ما جاء عن أبي العالية كما في صحيح البخاري أنه قال: «صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه في الملأ الأعلى»[١].

❑ **ما المراد بصلاة الملائكة على الرسول أو على أحد من المؤمنين؟**

أقرب الأقوال في ذلك: أَنَّ صلاتهم بمعنى الاستغفار أو الدعاء بالمغفرة وكلاهما صحيح لما جاء في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»[٢].

أما المراد بالصلاة من الآدميين فالدعاء له.

○ **قوله:** «وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا» المراد تسليمًا زائدًا على الصلاة على النبي ﷺ فيكون بذلك دعاء له بالسلام بعد الصلاة، وفيه الجمع بين الصلاة والسلام عليه؛ وهذا ما أمر الله به في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٨٠١).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٩٦) رقم (٤٤٥)، وصحيح مسلم (١/ ٤٥٩) رقم (٦٤٩).

أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ ....

○ **قوله:** «**أَمَّا بَعْدُ**» هي كلمة يؤتى بها للدلالة على الشروع في المقصود، وكان النبي ﷺ يستعملها كثيرًا في خطبه وكتاباته إلى ملوك العرب والعجم.

○ **قوله:** «**فَهَذَا**» إشارة إلى ما تضمنته هذه الرسالة المباركة من عقائد الإيمان التي فَصّل المُصَنِّف فيها في رسالته هذه.

○ **قوله:** «**اعْتِقَادُ**» المراد بالاعتقاد: ما عقد عليه الضمير وما دان القلب لله تعالى به؛ فكل شيء يَدين الإنسان به فهو يعتقده.

○ **قوله:** «**الْفِرْقَة**» بالكسر الطائفة كما في سورة التوبة ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة:١٢٢].

أما الفُرقة بالضم: فالمراد بها الاختلاف والافتراق الذي نهى الله عنه كما في سورة الأنفال ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦]، الريح: القوة، والمراد بالفرقة هنا المعنى الأول.

○ **قوله:** «**النَّاجِيَةِ**» أي: التي نجت في الدنيا من البدع والمخالفات العقدية، وتنجو في الآخرة من نار جهنم، فالنجاة شاملة للدنيا والآخرة.

وعليه فالنجاة الثانية مترتبة على النجاة الأولى، من نجا من البدع والمخالفات في الدنيا نجا في الآخرة من نار جهنم.

□ **لماذا نص المُصَنِّف على أن هذه الفرقة ناجية؟**

الجواب: إشارة إلى أن ثَمَّة طوائف أخرى ليست بناجية، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ١٩٧) رقم (٤٥٩٦)، والترمذي (٥/ ٢٥) رقم (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣٢١) رقم (٣٩٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

ثم قال: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»(١).

❑ **ما الضابط في معرفة النجاة؟**

الجواب: الضابط هو اتباع هدي النبي ﷺ وأصحابه فمن كان متبعًا للنبي فهو الناجي قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣١-٣٢] جاء التأكيد على اتباع النبي ﷺ في هاتين الآيتين من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنه أخبر أن المحبة الحقيقية لله تعالى تكون باتباع النبي ﷺ.

الوجه الثاني: التأكيد على طاعته ﷺ بل قرن طاعته بطاعة الله ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران:٣٢].

الوجه الثالث: بيان أن التولي عن طاعة الرسول ﷺ من صفات الكافرين، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]، وكفى بهذا زجرًا وتقريعًا.

○ **قوله**: «**النَّاجِيَةِ المنْصُورَةِ**» وصفها بوصفين: الوصف الأول: الناجية، والوصف الثاني: المنصورة، وقد وافق الـمُصَنِّف بذلك القرآن والسنة، أما القرآن ففي قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف:١٤].

---

(١) هذه الزيادة أخرجها ابن ماجه (٢/ ١٣٢٢) رقم (٣٩٩٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ، والأقرب أنها زيادة شاذة.

إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ....

أما موافقة السنة ففي حديث المغيرة بن شعبة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»[1].

❑ **وهنا لطيفة نأخذها من طريقة المُصَنِّف في اختيار الألفاظ:**

وهي: من الأسباب النافعة لطالب العلم أن تُوَافِقَ أَلفاظُه ألفاظَ الكتاب والسنة كما فعل المُصَنِّف ﵀ هنا، وفي هذه الطريقة سلامة من الوقوع في الخلل وزلات الألفاظ.

○ **قوله:** «**إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ**» المراد يوم القيامة، وقد جاء في هذا عدة أحاديث، منها:

١) حديث ابن مسعود في صحيح مسلم أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**»[2].

٢) حديث أنس في صحيح مسلم أيضًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللهُ اللهُ**»[3].

٣) حديث معاوية أن النبي ﷺ قال: «**وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَـذِهِ الْأُمَّـةِ مُسْـتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٠١) رقم (٧٣١١) من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ. وأخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٣) رقم (١٩٢٠) من حديث ثوبان ﷺ.

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٦٨) رقم (٢٩٤٩).

(٣) صحيح مسلم (١/ ١٣١) رقم (١٤٨).

(٤) صحيح البخاري (٩/ ١٠١) رقم (٧٣١٢)، وصحيح مسلم (٢/ ٧١٩) رقم (١٠٣٧).

❑ كيف نجمع بين هذه الأحاديث؟

جاء في حديث معاوية أن أمر هذه الأمة سيبقى مستقيمًا حتى تقوم الساعة، بينما في حديث ابن مسعود إنها تقوم على شرار الناس، وفي حديث أنس: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ الله الله**»[1].

هناك عدة أجوبة:

الجواب الأول: أن المراد بقيام الساعة قرب قيام الساعة، وأما الشك في حديث معاوية «**حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله**»[2]، فنرده إلى النصوص التي ليس فيها شك مثل حديث أنس وحديث ابن مسعود وعلى هذا أكثر الأحاديث، أما الشك في حديث معاوية فلعله من الراوي.

فتكون خلاصة الجواب: أن أمر هذه الأمة لا يزال مستقيمًا إلى قرب قيام الساعة، أي أنه عند قيام الساعة لا يوجد من يقول الله وأهل الإيمان ينقرضون قبل هذا.

الجواب الثاني: أن المراد بقيام الساعة يعني ساعة أهل ذلك الزمان ومن مات فقد قامت قيامته وليس المراد قيام الساعة الكبرى.

هذان الجوابان من أشهر الأجوبة والجواب الأول أقرب.

❍ **قوله:** «**أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ**» فيه وصف للفرقة الناجية بصفتين:

١) أهل السنة، أي: أتباع السنة.

٢) الجماعة، أي: الاجتماع على الحق، وعلى توحيد الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) تقدم تخريجه ص (٣٣).

(٢) تقدم تخريجه ص (٣٣).

وَهُوَ الإِيمَانُ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الموْتِ، ......

وبهذا تكون الأوصاف التي ذكرت هنا مع ما قبلها أربعة أوصاف:

١) الناجية.

٢) المنصورة.

٣) أهل السنة.

٤) أهل جماعة يحرصون على الاجتماع وينبذون الافتراق.

وقد أشار الـمُصَنِّف ﵀ إلى وصفين عظيمين هما:

١- اتباع السنة.

٢- الاجتماع.

وعلى طالب العلم أن يحرص على الجمع بينهما، وأن يكون عنده اتباع ودليل، وأن يحرص أيضًا على الاجتماع كما يحرص على السنة.

○ **قوله:** «**وَهُوَ**»: عائد إلى الاعتقاد، كأنه يقول أهل السنة والجماعة هذا هو اعتقادهم.

○ **قوله:** «**وَهُوَ الإِيمَانُ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الموْتِ**» هذه هي الأصول الستة، ويعبر بعضهم بقوله أركان الإيمان، ولا يتم إيمان أحد إلا بالإيمان بها جميعًا، ويجب أن يكون الإيمان بها على الوجه الصحيح الذي جاء في الكتاب والسنة.

ما حكم من جحد ركنًا من هذه الأركان؟

الجواب: من جحد ركنًا منها فكأنما جحدها كلها ولم يؤمن بها، ومن لم يؤمن بها فقد كذب بالقرآن، والتكذيب بالقرآن كفر.



قد يقول قائل: مِنْ أين أتيتم بهذه الأركان الستة؟

الجواب: من حديث جبريل المشهور: «**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ قال: أن تُؤْمِنَ بالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

وعلى هذا فالأركان ستة حددها أهل العلم استدلالًا بهذا الحديث فمن آمن ببعضها، فلا يصح إيمانه، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥].

ودونك يا طالب العلم بيانًا موجزًا لهذه الأركان:

الركن الأول: الإيمان بالله: والكلام عنه يطول وأهم ما يتعلق بهذا الركن أنه يتضمن الإيمان بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى.

الثاني: الإيمان بربوبيته سبحانه وأنه المتفرد بذلك.

الثالث: الإيمان بألوهيته وأنه الإله الحق وكل معبود سواه باطل.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

فلا بد من الإيمان بهذه الأربع جميعًا.

هل يكون مؤمنًا من لم يؤمن بوجود الله؟

الجواب: لا يعد مؤمنًا، بل هو ملحد، وهذا أشد أنواع الإلحاد.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٦) رقم (٨).

....

من آمن بوجود الله وبربوبيته ولم يؤمن بألوهيته، هل يعد مؤمنًا؟

الجواب: لا يعتبر مؤمنًا، وهذا ما كان يَدين به كفار قريش، فقد كانوا يؤمنون بربوبية الله دون الإيمان بألوهيته فلم ينفعهم ذلك شيئًا.

من آمن بوجوده وبربوبيته وبألوهيته ولم يؤمن بأسمائه وصفاته؟

الجواب: لا يعد مؤمنًا، بل هذا من الإلحاد الذي ذكره الله في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾[الأعراف:١٨٠].

وعلى ما سبق لا يتحقق إيمان العبد حتى يؤمن بوجود الله وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

❑ الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

الملائكة: عالم غيبي خلقهم الله من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقد جعل الله تعالى لهم وظائف علمنا طرفًا منها من خلال الكتاب والسنة وخفي علينا الكثير منها ولعلي أذكر طائفة ممن علمنا وظائفهم من خلال الدليل:

أولا: الملائكة الموكلون بما فيه حياة:

وما فيه حياة على أنواع:

١- ما فيه حياة القلوب وهذا حياته تكون بالوحي، والملك الموكل بالوحي جبريل عليه السلام.

٢- من وُكِّل بحياة الأرض المتمثل بالقطر والنبات، وهذا هو ميكائيل.

٣- من وُكِّل بحياة الأجساد يوم المعاد وبالنفخ بالصور، والموكل بذلك إسرافيل.



وقد كان النبي ﷺ يخص بالذكر في دعائه هؤلاء الثلاثة وذلك لعظم قدرهم كما في حديث عائشة قالت: «**كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الحقِّ بِإِذنكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»(١).

وعلى المسلم أن يكثر من هذا الدعاء خصوصًا في هذا الزمان الذي كثر فيه الاختلاف والافتراق وانتشرت فيه الفتن والهرج والمرج.

ثانيًا: الملائكة الموكلون بقبض الأرواح:

وهو ملك الموت وأعوانه ويجب الإيمان به وبوظيفته التي جاءت في النصوص، وقد اشتهر عند العوام باسم عزرائيل ولا يثبت في ذلك شيء.

وقد جاء في القرآن أن قابض الأرواح ﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة:١١] هكذا مفردًا، وجاء في القرآن أن القابض للأرواح أكثر من واحد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[النحل:٣٢].

فكيف نجمع بين هذه الآيات؟

الجواب: لا منافاة بين هذه الآيات فمَلَك الموت هو الذي يباشر قبض الأرواح وقد جعل الله له أعوانًا من الملائكة وهذا كما في الآية الأخرى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١].

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤) رقم (٧٧٠).

ثالثًا: الملائكة السياحون في الأرض الذين يلتمسون مجالس الذكر:

كما في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ لله مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ**»[1].

رابعًا: الملائكة الموكلون بكتابة أعمال العباد:

كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢]، وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

وعن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا كتب عليه حتى أنينه في مرضه»، ويذكر عن الإمام أحمد اشتد عليه المرض ذات مرة، فكان يظهر له صوت وأنين، فقيل له: إن طاووسًا كان يكره أنين المرض فتركه[2].

خامسًا: الملائكة الذين يتعاقبون على بني آدم في الليل والنهار:

كما في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١] وقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي بأمره، وحروف الجر تتناوب عند الكوفيين، مثال آخر قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] في جذوع النخل المراد على جذوع النخل، وحروف الجر تتناوب كما سبق.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٨٧) رقم (٦٠٤٥).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٢٤٢).



سادسًا: الملائكة الركع السجود:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل:٤٩] هنا تقدير يسجدون، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وعددهم كثير، كما في حديث أَبِي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لله**»[1].

وهذا الحديث ضعيف؛ لأنه من رواية إبراهيم بن المهاجر لينه ابن حجر، والحديث له شواهد لكن لا تخلو كلها من ضعف، والأقرب عدم صحة الحديث، وقد جاءت نصوص أخرى تدل على كثرتهم كما في حديث الإسراء والمعراج في الصحيحين: «**فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ المعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ المعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**»[2]، هذا الحديث يدل على عظمة من خلقهم، وقدرته سبحانه وتعالى، ونستفيد منه كثرة الملائكة حيث أن عدد من يصلي في البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أخرى.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ١٣٤) رقم (٢٣١٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٢) رقم (٤١٩٠)، وقال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ غريب».

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٠٩) رقم (٣٢٠٧)، وصحيح مسلم (١/ ١٤٩) رقم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

....

سابعًا: خزنة الجنة والنار:

جاء في القرآن تسمية خازن جهنم، «مالك»، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]، وجاء بالجمع كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر:٤٩].

✓**والجنة هل لها خازن؟**

الجواب: نعم، والدليل ما في صحيح مسلم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**آتِي بَابَ الجنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الخازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»[1].

✓**هل الملائكة أجساد أم أرواح؟**

الجواب: الملائكة أجسادٌ، وليسوا أرواحًا مجردة عن الجسمية، وهذا أمرٌ معلومٌ من الدين بالضرورة. قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر:١]. أما السنة فالأحاديث كثيرة منها ما جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود: «**أنه ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ**»[2]، وفي الصحيحين أيضًا من حديث عائشة ﵂ قالت: «**رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**»[3].

والقول بأنهم أرواحٌ فقط هو قول النصارى وهو في حقيقة الأمر إنكار للملائكة.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٨٨) رقم (١٩٧).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٤١) رقم (٤٨٥٧)، وصحيح مسلم (١/ ١٥٨) رقم (١٧٤).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١١٥) رقم (٣٢٣٥)، وصحيح مسلم (١/ ١٥٩) رقم (١٧٧).



❑ الركن الثالث: الإيمان بالكتب:

أي الكتب التي أنزلها الله على رسله، ولكل رسول كتاب، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد:٢٥] (الكتاب) مفرد، (الـ) للجنس، وليس المراد كتابًا واحدًا، بل لكل رسول كتاب، لكن لا نعرف من هذه الكتب إلا ستة: القرآن، التوراة، الإنجيل، الزبور، صحف إبراهيم، صحف موسى[١].

✓هل يجب الإيمان بما جاء فيها؟

يجب الإيمان بالزبور الذي أنزل على داود، والتوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل الذي أنزل على عيسى - كلها كتب الله وكلامه، وهي حق وهدى ونور، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٤]، وما جاء فيها لا سبيل لنا إلى معرفته إلا من خلال ما جاءنا في القرآن والسنة، وقد أغنانا الله عنها بالقرآن الكريم الذي نسخ هذه الكتب جميعها.

وينبغي أن يُفَرَّق بين الإيمان بالكتب التي نزلت على هؤلاء الأنبياء، وما يوجد الآن من كتبٍ منسوبةٍ إليهم؛ فالتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام كتابٌ حقٌّ من عند الله، وكذلك الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام.

وأَمَّا التوراة والإنجيل التي بين أيدي أهل الكتاب الآن فنقطع بأنها ليست هي الكتب التي نزلت على موسى وعيسى عليهما السلام؛ لأنها حُرِّفَت وغُيِّرَت وبُدِّلَت، وفيها من الكلام الباطل والمكذوب على الله ما لا يخفى.

---

(١) هذا بناءً على أن صحف موسى تختلف عن التوراة، أما من قال إن التوراة هي الصحف يكون العدد خمسة، والمقصود أنه يجب الإيمان بهذه الكتب التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام.

....

وقد يوجد فيها حق، ولكن لا نصدق ذلك ولا نكذبه، كما جاء عن رسولنا ﷺ؛ ولذلك يجوز أن نحدث عنهم - أي أهل الكتاب - ما لم يخالف ذلك ديننا وكتابنا.

أما القرآن فيجب الإيمان به على سبيل التفصيل؛ لأنه منزل من عند الله ولم يدخله التحريف، بل قد تكفل الله بحفظه سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

❑ **الركن الرابع: الرسل:**

الرسل عليهم السلام وهم الذين أوحى الله إليهم بالشرائع وأمرهم بتبليغها، وأول هؤلاء: نوح عليه السلام، وآخرهم: محمد ﷺ.

✓ **ما الفرق بين النبي والرسول؟**

الجواب: المشهور في كتب أهل العلم أنَّ الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بالتبليغ.

وهذا لا يصح: إذ كيف يقال: إن النبي لم يؤمر بالتبليغ، وأتباع الرسل أمروا بالتبليغ قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥] وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف:١٠٨] فكيف يُتصور أن نبيًّا يُوحى إليه ولا يؤمر بالتبليغ، هذا التعريف محل نظر.

والأقرب والله أعلم: أن الرسول: من أوحي إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه، والنبي: من أوحي إليه بتبليغ شرع من قبله.

من هو أول الرسل؟

جاء ذلك صريحًا في حديث الشفاعة: «**فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ**»(١).

وآخرهم محمد، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

هنا إشكال: وهو أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء:١٥٩]، وقد أخبر عن ذلك النبي ﷺ في أحاديث صحيحة أوصلها بعض أهل العلم إلى حد التواتر، وهي تفيد نزول عيسى عليه السلام، لكن الإشكال هنا: ألا يدل ذلك على أن عيسى عليه السلام هو آخر النبيين؟

الجواب عن ذلك من وجوه أهمها:

١) أن القرآن صرح في كون محمد عليه السلام هو آخر الرسل، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب:٤٠].

٢) أن عيسى عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد، وإنما يحكم بشرع الحبيب محمد ﷺ، يدل لذلك أحاديث كثيرة منها: حديث أبي هريرة في الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٤) رقم (٣٣٤٠)، ومسلم (١/ ١٨٤) رقم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) صحيح البخاري (٣/ ٨٢) رقم (٢٢٢٢)، وصحيح مسلم (١/ ١٣٥) رقم (١٥٥).

□ الركن الخامس: البعث بعد الموت:

المراد به: إخراج الناس من قبورهم بعد مماتهم، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة من غير خلاف وهو ثابت في الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: ففي عدة آيات قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[يونس:٥٣] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ:٣] وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن:٧]، هذه ثلاثة مواضع في القرآن، أقسم الله فيها بربوبيته على البعث.

أما السنة: فالأحاديث في ذلك متواترة عن النبي ﷺ، من أشهرها ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»[(١)].

وكما في حديث أبي مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ: أَبَيْتُ، ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ قَالَ وَلَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧١) رقم (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٦٥) رقم (٤٩٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٠) رقم (٢٩٥٥)، واللفظ له.

وجاء الحديث من طريق أبي الزناد عن الأعـرج عـن أبي هريـرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الـذَّنَبِ مِنْـهُ خُلِـقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»(١).

❑ **الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره:**

المراد بالقدر: تقدير الله تعالى للأشياء.

✓**متى كتب الله المقادير؟**

كتب الله المقادير قبل خلق السـموات والأرض بخمسـين ألـف سـنة، جاء ذلك صريحًا في حديث عبد الله بن عمرو بـن العـاص، قـال سـمعت رسول الله ﷺ يقـول: «**كَتَـبَ اللهُ مَقَـادِيرَ الخَلَائِـقِ قَبْـلَ أَنْ يَخْلُـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»(٢).

ﻩ **قوله:** «**وَالإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَـيْرِهِ وَشَرِّهِ**»: هنـا وصـف القـدر بوصـفين الخير والشـر، فأما وصف القدر بالخير فواضح لا إشكال فيه.

✓**والإشكال كيف يوصف القدر بالشر؟**

الجواب على ذلك: أن المراد شر المقدور لا شر القدر الذي هو فعـل الله وتقديره، فإن فعل الله تعالى لا يوصف بالشر بل كل أفعاله خير وحكمة.

ولهذا قال تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن:١٠] الخير هنا منسوب إلى الله تعالى أما الشر فلم ينسب إلى الله تعالى؛ لذا قال: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾.

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧١) رقم (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٤) رقم (٢٦٥٣).

....

وجاء ذلك أيضًا في حديث علي بن أبي طالب كما في صحيح مسلم في دعاء قيام الليل أن النبي ﷺ كان يدعو: «**وَالخيرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[(١)].

والخلاصة: أن الشر لا يُنسب إلى الله تعالى، لكن الذي قدره هو الله تعالى، الشر بالنسبة للمقدور لا بالنسبة للقدر.

ويضاف إلى ذلك أن يقال: إن هذه الشرية نسبية فهي شر من جهة لكن يترتب عليه من الحِكَم والمصالح الشيء الكثير، ومثل ذلك وجود النفاق والمنافقين وأهل الشهوات، فإن النفاق شر والمنافقين أشرار والكافرين أشرار، لكن هذا التقدير وراءه حِكَم: من ذلك ما ذكره الله في قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال:٣٧]، وعلى هذا من حِكَم وجود هؤلاء الامتحان لأهل الإيمان هل يصبرون وهل يقابلون هذا الشر بالخير، وهل يقومون بوظيفة الدعوة وتبليغ الدين؟

✓ **مسألة: هل يتصور خلو الأرض من الكفر والنفاق؟**

الجواب: لا يتصور خلو الأرض من الكفر والكافرين والمنافقين؛ لأن من الحِكَم والسنن الإلهية التي أرادها الله كونًا وجود الصراع بين الحق والباطل، وهذه الحكمة ينبني عليها امتحان واختبار وتمحيص للصف المؤمن.

وأنبه بهذه المناسبة على خطأ مشهور عند بعض الأئمة في دعاء القنوت حيث يَدعون على عموم الكفار ويقولون: «**اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا**»[(٢)]، ويحتجون لذلك بأنه دعاء خبيب على قتلته حيث دعا بذلك.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٣٥) رقم (٧٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٧٨) رقم (٣٩٨٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.



وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ: الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

والدليل صحيح، ولكن وجه الاستدلال ليس بصحيح؛ لأن خبيبًا رضي الله عنه أراد بدعائه قومًا معينين.

لكن قد يقول قائل إن نوحًا عليه السلام دعا على الكفار دعاءً عامًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦].

والجواب: أن نوحًا عليه السلام قد اعتذر عن دعائه هذا كما في حديث الشفاعة: «**وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي**»(١)، فاعتذر عليه السلام عن الشفاعة بسبب دعائه هذا.

○ **قوله**: «**وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ ... إلخ**»: شرع المُصَنِّف رحمه الله في التفصيل بعد الإجمال، فذكر أن من عقائد أهل السنة والجماعة في الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

- **التكييف**: هو جعل كيفية لصفات الله سبحانه وتعالى أو البحث عن حقيقتها وكنهها.
- **التعطيل**: نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص.
- **التمثيل**: هو أن تجعل صفات الله سبحانه وتعالى كصفات خلقه.
- **التحريف**: تفسير النصوص بالمعنى الباطل الذي لا تدل عليه النصوص بوجه من الوجوه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٨٤) رقم (٤٧١٢)، ومسلم (١/ ١٨٤) رقم (١٩٤).

....

ومنهج أهل السنة: الإيمان بما وصف به الله نفسه في كتابه، وبما وصفه به نبيه ﷺ في سنته، وهي على أربعة أقسام:

١) الوصف بالقول:

مثال ذلك ما جاء في صحيح البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ**»[١] الحديث له عدة ألفاظ، وهذا لفظ مسلم.

وكقوله: «**خَلَقَ الله آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»[٢] ما معنى الحديث؟ وما المراد بقوله: «**عَلَى صُورَتِهِ**» هل هي صورة آدم أو صورة الرحمن؟

الصحيح الذي دلت عليه الأدلة، وهو مذهب عامة أهل السنة: أن المراد صورة الرحمن، ويؤكد ذلك رواية: «**إِنَّ الله خَلَقَ آدَم عَلَى صُورَة الرَّحْمَن**»[٣].

وقد خالف في ذلك الإمام ابن خزيمة، ومن المتأخرين الألباني، وقالا: المراد صورة آدم. ولكن الصحيح الذي عليه عامة الأئمة، أن المراد صورة الرحمن، أي: خلق الله آدم على صورة الرحمن.

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ٢٤) رقم (٢٨٢٦)، وصحيح مسلم (٣/ ١٥٠٤) رقم (١٨٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠) رقم (٦٢٢٧)، ومسلم (٤/ ٢١٨٣) رقم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٩) رقم (٥١٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٣٠) رقم (١٣٥٨٠)، والحديث حَسَّن إسناده ابن حجر في الفتح (٥/ ١٨٣).



٢) الوصف بالفعل:

مثاله ما ثبت في صحيح مسلم في حديث جابر الطويل عندما خطب النبي ﷺ خطبة عرفة وقال: «**أَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ - فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ - اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ**»(١) إشارة إلى العلو، فوصف ربه بالعلو بالفعل.

٣) الوصف بالقول والفعل معًا:

مثاله ما رواه أبو داود في سننه أن أبا هريرة تلا الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء:٥٨]، وقال: «**رأيت رَسُولَ الله ﷺ يَقْرَؤُهَا ويَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى إذنهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ**»(٢).

✓ **هل يقال هذا تشبيه؟**

الجواب: هذا ليس بتشبيه، بل أراد به النبي ﷺ تحقيق الصفة.

٤) إقرار الوصف:

مثاله ما جاء في صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي وهو حديث طويل جاء فيه أن النبي ﷺ سأل الجارية: «**فَقَالَ لَهَا أَيْنَ اللهُ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ**» - فأقرها على ذلك - وقال لسيدها: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(٣).

ومن ذلك إقراره ﷺ للحَبر اليهودي الذي قال لرَسُولِ الله ﷺ: «**يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ**

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٨٨٦) رقم (١٢١٨).

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٣٣) رقم (٤٧٢٨).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٣٨١) رقم (٥٣٧).

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وَالشَّجَرَ وَالْأَنْهَارَ عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الخلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ»[1]، فضحك النبي ﷺ تصديقًا للحبر، والحديث في الصحيحين من حديث ابن مسعود ﷺ.

والحديث فيه فوائد:

أولًا: إقرار النبي ﷺ لليهودي بما قال، حيث أخبر أن الله يضع السماء يوم القيامة على إصبع... إلخ.

ثانيًا: قبول الحق من الكافر، وأن الحق متى جاءنا قبلناه بغض النظر عمن قاله.

○ **قوله**: «بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾» هذه الآية قاعدة من القواعد العظيمة في باب الأسماء والصفات وفيها جملة من الفوائد والاستنباطات:

أولًا: في الآية رد على المشبهة؛ لقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾.

ثانيًا: ورد على المعطلة؛ لقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

ثالثًا: فيها رد على المعتزلة الذين يثبتون الأسماء دون الصفات، حيث أخبر سبحانه أن من أسمائه السميع والبصير، وهما اسمان يشتملان على صفتين، وهما: السمع، والبصر، وهو سبحانه ليس كمثله شيء في صفاته، بل هي على ما يليق بجلاله وعظمته.

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ١٣٤) رقم (٧٤٥١)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧) رقم (٢٧٨٦) من حديث ابن مسعود ﷺ.

رابعًا: فيها رد على الأشاعرة حيث إنهم أثبتوا بعض الصفات ونفوا البعض الآخر، وقالوا: إثبات الصفات الخبرية يستلزم التشبيه، فيقال لهم: إن الله تعالى في هذه الآية أثبت السمع والبصر، ورد على المشبهة؛ فإثبات الصفات لا يستلزم التشبيه؛ فيلزمكم فيما نفيتموه نظير ما قلتموه فيما نفيتموه؛ إذ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

خامسًا: فيها إثبات صفة السمع ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾.

سادسًا: فيها إثبات صفة البصر لله على ما يليق بجلاله ﴿الْبَصِيرُ﴾.

سابعًا: فيها إثبات لمنهج أهل السنة الجماعة في النفي المجمل والإثبات المفصل.

وطريقة القرآن والسنة: الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات إلا في مواطن معينة يأتي فيها التفصيل في النفي؛ ولذلك أسباب سيأتي الكلام عليها في شرح القواعد المثلى إن شاء الله.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: فيه نفي مجمل، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: إثبات مفصل.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: «السمع الذي أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه في الكتاب والسنة نوعان:

١. **السمع العام**: ويراد به إدراك الصوت؛ فسمع الله تبارك وتعالى شامل لجميع الأصوات؛ لأنه سميع لكل مسموع، كقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة:١].

٢. **السمع الخاص**: وهو سمع الإجابة والقَبُول، وهذا النوع متعلق بمشيئة الله تعالى وقدرته، كقول الخليل: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران:٣٨]»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٤).

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ الله وَآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ.

○ **قوله:** «**فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ...**» وقد ذم الله الملحدين الذين يلحدون في أسمائه قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [فصلت:٤٠].

✓ما المراد بالإلحاد في الأسماء؟

الإلحاد في الأسماء: الميل عمَّا يجب لها شرعًا، في لفظها ودلالتها، وهو أنواع:

١) **أن يُسمى الله بما لم يسم به نفسه**، كتسمية النصارى الله بـ «أب» وتسمية الفلاسفة له بـ «العلة الفاعلة».

٢) **إنكار أسماء الله وصفاته أو بعضها**: كفعل بعض المعطلة الذين جردوا الله تعالى من أسمائه وصفاته أو بعضها.

٣) **إنكار ما دلت عليه الأسماء من الصفات**: فمثلًا: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم:٢] لا يجوز الاقتصار على دلالتها على الأسماء دون الصفات؛ بل يؤخذ من ذلك إثبات اسمين لله هما اسم «العليم» واسم «الحكيم» كما يؤخذ منهما صفة العلم، وصفة الحكمة لله تعالى، فلا يجوز الاكتفاء بإثبات الاسمين دون ما يترتب عليهما من الصفات.

٤) **أن يُثبت لله تعالى الأسماء والصفات لكن مع تقييدها بالتمثيل**: كمن يقول لله بصر كبصرنا وسمع كسمعنا وعلم كعلمنا وهكذا ...

٥) **أن يشتق من أسماء الله أسماء للمعبودات**: كما اشتق أهل الشرك اسم (اللات): من الإله، و(العزى): من العزيز، و(مناة): من المنان.

✓ما حقيقة الإلحاد في آيات الله وكيف يكون؟

الجواب: آيات الله على نوعين:

١. **الآيات الكونية**: كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت:٣٧]، وغير ذلك من آيات الله الكثيرة في الآفاق والكون.

فمن نسب شيئًا من هذه الآيات إلى غير الله، فهو ملحد في آيات الله، كما تقوله طوائف من الصوفية، يقولون: إن الولي فلان يدبر الليل والنهار، ويقول بعضهم: لولا الولي فلان لما وجد الكون.

قال البوصيري في بردته يخاطب النبي ﷺ:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمَمِ

إِنْ لَمْ تَكُنْ آخِذًا يَوْمَ المَعَادِ يَدِي
فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا
وَمِنْ عُلُومِكَ عَلَمَ اللَّوْحِ وَالقَلَمِ

قال ابن رجب ﵀: إنه لم يترك لله شيئًا ما دامت الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ.

تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ، لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفْءَ لَهُ، ....

٢. **الآيات الشرعية**: وهو الوحي الذي أنزله الله على الرسل كالقرآن والتوراة والإنجيل.

والإلحاد في القرآن يكون بتكذيبه أو تحريف آياته أو مخالفتها، كل هذا يعد إلحادًا في القرآن.

✓ **هل يجوز تخيل صفات الله عز وجل؟**

لا يجوز تخيل أي صفة من صفات الله ولا يجوز للمسلم أن يستسلم لذلك، ومن خطر له شيء من ذلك فلينته لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلْيَنْتَهِ**»[1]، لينته: ليقطع المادة بالحسم وعدم الاسترسال في هذه الخواطر لأنها من الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم، وهو يسعى جاهدًا في بثها في النفس.

○ **قوله**: «**لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ**» هذه الجملة تعليلية، فلما بين المُصَنِّف منهج أهل السنة في الأسماء والصفات علل لذلك بما سبق في سلوك أهل السنة والجماعة هذا المذهب فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته؛ لأنه سبحانه لا سميّ له.

○ **قوله**: «**لَا سَمِيَّ لَهُ**»: السمي: المساوي. فالله سبحانه لا مساوي ولا مماثل له، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] أي هل تعلم له مماثلًا.

○ **قوله**: «**وَلَا كُفْءَ لَهُ**»: الكفو أي المكافئ، والله سبحانه لا مكافئ له قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤].

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٢٣) رقم (٣٢٧٦)، وصحيح مسلم (١/ ١٢٠) رقم (١٣٤).



وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا.

○ **قوله:** «**وَلَا نِدَّ لَهُ**»: الند النظير، والله تعالى لا نظير له ولا ند له قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

هذه الثلاث التي ذكر الـمُصَنِّف «السَّمِيّ وَالْكُفْء والنِّد» معانيها متقاربة ومضمونها: نفي المثيل لله جل وعز.

○ **قوله:** «**وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ**» يمتنع القياس بين الله تعالى وبين خلقه، لوجود التباين الكبير بين الله وبين خلقه، فلامثيل له سبحانه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

○ **قوله:** «**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ**» هذا تعليل لصحة مذهب السلف في الإيمان بجميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة.

ومفاد هذا التعليل أنه إذا كان سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلًا وأحسن حديثًا، فيجب الرجوع في هذا الباب نفيًا وإثباتًا إلى ما قاله سبحانه؛ لأنه أعلم بنفسه وأعلم بغيره كما يجب الرجوع إلى ما قاله رسوله ﷺ لأنه أعلم الخلق بالله عز وجل.

فإذا كان ذلك كذلك وجب المصير في هذا الباب نفيًا وإثباتًا إلى ما قاله سبحانه وقاله رسوله ﷺ.

○ **قوله:** «**وَأَصْدَقُ قِيلًا**» عبر الـمُصَنِّف بهذه العبارة لأجل موافقة القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]، وفي هذا لفتة لأهمية التزام المصطلحات والتسميات الشرعية الواردة في الكتاب والسنة.

وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ [أو مصْدُوقون]، بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

○ **قوله:** «**ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ**» الصدق: مطابقة الخبر للواقع.

وقوله: «**صَادِقُونَ**»: أي بما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى.

«**مصْدُوقون**»: أي أن ما أوحي إليهم صدق، فالمصْدُوق من أوحي له بصدق، يعني أن من بلغه صدق فيما بلغه، وعلى ضبطها بالتشديد «**مُصَدَّقون**»: أي من البشر، والذين يصدقونهم هم أتباعهم من المؤمنين بالرسل.

والخلاصة أن الرسل عليهم السلام مَصْدوقون في كل ما أوحي إليهم فلم يكذبهم الذي أرسلهم وهو الله ولم يكذِبهم الذي أرسل إليهم وهو جبريل، وأيضًا لم يكذبهم أتباعهم من المؤمنين، ويمكن أن يصح وجه آخر في نسخة «مُصَدَّقُون» بأن الله صدقهم في قوله وفعله.

أما بالقول فجاء هذا في آيات كثيرة قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون:١]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٤٠] فصدق الله رسوله بالقول.

وأما بالفعل فبالتمكين الذي كان للنبي ﷺ وظهور دينه على الأديان كلها وما آتاه الله من الآيات والمعجزات وأعظمها القرآن، وهو أعظم معجزة على الإطلاق من لدن آدم إلى أن تقوم القيامة.

○ **قوله:** «**بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ**» وهم أهل التحريف لأن أهل التحريف قالوا على الله بلا علم، وهؤلاء الذي يقولون على الله بلا علم ليسوا بصادقين في أنفسهم وليسوا بمصدوقين فيما قالوه وليسوا بمصدّقين من الخلق.



وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ **فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى المرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ** ....

فالأنبياء والرسل عليهم السلام كانوا صادقين؛ لأنهم قالوا ذلك من عند الله، أما هؤلاء فليسوا بصادقين.

وليسوا مصدقين من الخلق، بل الذي قالوه افتراء على الله عز وجل.

○ **قوله:** «**قَالَ:** ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾» فسبح نفسه سبحانه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.

فالرسل عليهم السلام هم الذين نزهوا الله عما لا يليق به مما افتراه المفترون المكذبون.

ولهذا قال الـمُصَنِّف بعد ذكر الآية: «**فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ**» قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الصافات:١٨٠-١٨١] لسلامة ما قالوه في ذلك الباب.

✓ما مناسبة ذكر الآية لما سبق؟

المناسبة: لما ذكر منهج أهل السنة والجماعة بين أن هذا المنهج هو منهج الرسل عليهم السلام وهو تسبيح الله وتنزيهه؛ ولهذا سلم على المرسلين لسلامة ما قالوه.

والرسل: هم أعظم من سبح الله ونزهه.

وإنما ذكر الـمُصَنِّف هذه الآية لأنها تدل على تنزيه الله تعالى.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ عما وصفه به الذين لا يعلمون.

وهذه الآية عامة يدخل فيها كل من وصف الله بما لا يليق به ويدخل في ذلك أهل التحريف، وأيضًا جميع الطوائف المبتدعة لأنهم قالوا على الله بلا علم.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ ...

وهذه الجملة تضمنت قاعدة عظيمة نافعة في هذا الباب، وهي أنه مبني على أصلين، بيَّنَهما في **قوله**: «**وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ**»:

الأصل الأول: النفي. **والأصل الثاني**: الإثبات.

فأما النفي: فالمراد به نفي ما يضاد كمال الله تعالى من أنواع العيوب والنقائض.

وأما الإثبات: فهو إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال لله سبحانه وتعالى.

فالقرآن فيه نفي وإثبات.

قال شيخ الإسلام: «وبيان هذا أن سبيل سلف الأمة وأئمتها في الصفات مبني على أصلين:

- **أحدهما**: أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص مطلقًا كالسِّنة والنوم والعجز والجهل وغير ذلك.
- **الثاني**: أن الله متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات»[1].

أمثلة النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣]، ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن:٣]، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٥٢٣)، والصفدية (١/ ١٠٢).



أمثلة الإثبات: وهو في القرآن أكثر من النفي، مثل: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر:٢٣].

المقصود أن مذهب أهل السنة والجماعة مبني على هذين الأصلين.

والصفات على قسمين: صفات ثبوتية، وصفات سلبية.

فالصفات الثبوتية: كل ما أثبته الله تعالى لنفسه، وجميعها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه. **أما الصفات السلبية**: فهي الصفات التي نفاها الله تعالى عن نفسه من صفات النقص والعيب، وسيأتي التفصيل في شرح القواعد المثلى.

❍ **قوله**: «**فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ** ...» هذه الجملة تعليلية لما سبق حيث ذكر رحمه الله مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات ثم علل لذلك بأنه هو الحق؛ لأنه هو الذي جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب وشهدت به العقول السليمة، هذه ثلاثة طرق عرفنا بها «مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات».

قال ابن القيم في نونيته:

وإِذَا تَأَمَّلْتَ الوُجُودَ رَأَيْتَهُ ... إِن لَمْ تَكُنْ مِنْ زُمْرَةِ العُمْيَانِ

بِشَهَادَةِ الإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا ... لله لا بِشَهَادَةِ النُّكْرَانِ

وَكَذَاكَ رُسْلُ الله شَاهِدَةٌ بِهِ ... أَيْضًا فَسَلْ عَنْهُمْ عَلِيمَ زَمَانِ

وَكَذَاكَ كُتْبُ الله شَاهَدَةٌ بِهِ ... أَيضًا فَهَذَا مُحكَمُ القُرْآنِ

وَكَذَا العُقُولُ المُسْتَنِيرَاتُ الَّتي ... فِيهَا مَصَابِيح الهُدَى الرَّبَّاني

فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ المسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ....

وما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب، وشهدت به العقول الصحيحة هو الدين الحق الذي جاءت به الرسل عليهم السلام.

ودين الرسل دين واحد وهو الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]. والأنبياء دينهم واحد قال ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»[1].

والمقصود به دين الإسلام: وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] فالأنبياء اتفقوا على ذلك ودعوتهم واحدة وقد وقع الاختلاف بينهم في الأحكام المتعلقة بالعبادات.

○ **قوله:** «**فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ المسْتَقِيمُ**»، هل الضمير يعود: إلى مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب، أو يعود: إلى ما جاءت به الرسل؟

كلاهما صحيح؛ لأن مذهب أهل السنة والجماعة هو ما جاءت به الرسل.

○ **قوله:** «**صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ**» نعم الله قسمان:

١) **النعم العامة**: أي لكل البشر مسلمهم وكافرهم فالله يمد الكل بالنعم.

٢) **النعم الخاصة**: وهي نعم الله على أهل الإيمان بالإيمان وأيضًا نعمته على أهل العلم بالعلم، ونعمته على أهل الإنفاق بالإنفاق، وهكذا ...

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٦٧) رقم (٣٤٤٣)، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٣٧) رقم (٢٣٦٥).



وهناك نعمة أخص وهي نعمة الله تعالى على أنبيائه بالنبوة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[النساء:١١٣] عظيمًا أي بنعمة الرسالة وهي أعظم النعم.

إذن النعم ثلاثة: عامة، وخاصة لأهل الإيمان، ونعمة أخص، وهي نعمته على أنبيائه بالنبوة.

✓**ومن هم الذين أنعم الله عليهم؟**

الجواب: هم الأصناف الأربعة الذين ذكرهم الله في سورة النساء قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩].

الصنف الأول: الأنبياء: وهم كل من أوحى الله إليهم ونبأهم، وسبق الكلام على هذه المسألة والتفريق بين النبي والرسول والقول الصحيح في الفرق بينهما.

الصنف الثاني: الصديقون: جمع صِدِّيق.

والصديق: هو من صدق مع الله في معتقده وإخلاصه وإرادته، وفي مقاله وأفعاله.

والصديقية: مرتبة عظيمة وهي أعظم المراتب بعد مرتبة النبوة.

من هو صديق هذه الأمة؟

هو أبو بكر ﷺ، بل هو أفضل الصديقين، وفي صحيح البخاري أن أنس ابن مالك ﷺ حدثهم: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**»[1].

(١) صحيح البخاري (٥/ ٩) رقم (٣٦٧٥).

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجملَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإخلاص:١-٤].

وجاء في حديث آخر أنهم كانوا على جبل حراء، فعن أبي هريرة ﷺ: «**أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتْ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**»(١).

✓**هل مرتبة الصديقية خاصة بالرجال؟**

الجواب: ليست خاصة بهم، ومريم عليها السلام بلغت هذه المرتبة، قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة:٧٥].

الصنف الثالث: الشهداء: الذين قتلوا في سبيل الله.

الصنف الرابع: الصالحون.

وهذه المرتبة شاملة لجميع الأنواع الثلاثة السابقة وشامله أيضًا لمن كان دونهم في الإيمان ولم يبلغ هذه المراتب.

من هو الصالح؟ اختلف أهل العلم في تعريف الصالح، والأقرب في الصالح أنه الذي قام بحق الله وحق عباده.

○ **قوله**: «**وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجملَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ...**» شرع المصنِّف في ذكر بعض النصوص الواردة في الكتاب والسنة في الإيمان بالله تعالى

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٨٠) رقم (٢٤١٧).

والإيمان بما جاءت به هذه النصوص من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييفٍ ولا تمثيل.

أطال رحمه في ذكر الآيات والأحاديث في باب الأسماء والصفات.

واستفتح بسورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، فعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ القرآن قَالُوا وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ القرآن قَالَ: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن**»[1].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «والقرآن يحتوي على علوم كثيرة عظيمة، وهي ترجع إلى ثلاثة علوم:

أحدهما: علوم الأحكام والشرائع الداخل فيها علوم الفقه كلها عبادات ومعاملات وتوابعها.

الثاني: علوم الجزاء على الأعمال والأسباب التي يجازي بها العاملون على ما يستحقون من خير وشر وبيان تفصيل الثواب والعقاب.

الثالث: علوم التوحيد: وما يجب على العباد من معرفته والإيمان به وهو أشرف العلوم الثلاثة.

وسورة الإخلاص كفيلة باشتمالها على أصول هذه العلم وقواعده»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٦) رقم (٨١١).

(٢) التنبيهات اللطيفة ص (٢٧-٢٩).

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

○ **قوله:** «**وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ ...**» ثم ثنى الـمُصَنِّف رحمه الله بذكر أعظم آية في القرآن وهي آية الكرسي، والدليل على أنها أعظم آية ما رواه مسلم من حديث أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: يَا أَبَا المُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحيُّ الْقَيُّومُ، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ والله لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ**»[1].

والسبب في كون هذه الآية أعظم آية في الكتاب؛ لأنها اشتملت على جملة من أسماء الله وصفاته بحيث لا توجد آية في القرآن جمعت من أسمائه وصفاته ما جمعت هذه الآية الكريمة.

فقد تضمنت هذه الآية الكريمة من أسماء الله خمسة، وهي: الله، الحي، القيوم، العلي، العظيم.

وتضمنت من صفات الله خمس وعشرين صفة: منها خمس صفات مأخوذة من هذه الأسماء التي سبقت.

السادسة: انفراده بالألوهية ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

السابعة: انتفاء السنة والنوم في حقه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٥٦) رقم (٨١٠).

وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِيْ لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَى يُصْبِحْ ....

الثامنة: عموم ملكه ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

التاسعة: انفراده ﷻ بالملك ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حيث قدم الخبر، والخبر هنا: ﴿لَهُۥ﴾، والمبتدأ: ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وهذا التقديم له فائدة وهي: إفادة الاختصاص، وهو اختصاصه ﷻ بالملك.

العاشرة: قوة السلطان وكماله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

الحادية عشر: إثبات العندية ﴿عِندَهُۥٓ﴾.

الثانية عشر: إثبات الإذن ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

الثالثة عشر: عموم علمه عز وجل ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

الرابعة عشر والخامسة عشر: إثبات أنه سبحانه وتعالى لا ينسى ما مضى، لقوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.ويعلم الحال والمستقبل لقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

السادسة عشر: كمال العظمة.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ عجز الخلق عن الإحاطة يدل على كمال عظمته، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ عظمة هذا الكرسي من عظمة الله.

السابعة عشر: إثبات المشيئة من قوله: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

الثامنة عشر: إثبات الكرسي وهو موضع القدمين ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

وكون الكرسي موضع القدمين لم يرد في نصٍّ صحيحٍ مرفوعًا، وإنما جاء في بضعة آثار عن بعض الصحابة كابن عباس وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما.

وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِيْ لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ الله حَافِظٌ وَلا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَى يُصْبِحْ ....

ولفظ ابن عباس: «الكرسيُّ موضع القدمين، والعرش لا يُقْدَرُ قَدْرُهُ»[1].

ولكن هذه الآثار لها حكم المرفوع؛ لأن مثلها لا يقال بالرأي؛ ولا سيما وأنها في باب الأسماء والصفات؛ فبذلك يثبت أَنَّ الكرسي موضع القدمين، كما هو قول أهل السنة والجماعة خلافًا للمعطلة.

التاسعة عشر والعشرون والحادية والعشرون: إثبات القوة والقدرة والعظمة، مأخوذة من قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

وإيجاد هذا الكرسي بهذه العظمة، حيث وسع السموات والأرض دليل على قدرته سبحانه، ودليل على القوة؛ لأن مثل هذا لا يصدر إلا من قوي قادر، ودليل على العظمة: لأن عظمة الكرسي من عظمة خالقه سبحانه وتعالى.

الثانية والعشرون والثالثة والعشرون والرابعة والعشرون: كمال علمه ورحمته وحفظه، نأخذ ذلك من قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: حفظ السماوات والأرض لا يكرثه ولا يشق عليه ولا يثقله لكمال قدرته وقوته قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[فاطر:٤١].

ويلزم من حفظه السماوات والأرض إثبات صفة العلم وصفة الرحمة.

الخامسة والعشرون: إثبات علو الله جل وعز، نأخذ ذلك من قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ وهذا دليل على أن الله عال فوق خلقه.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٤٨)، وابن أبي شيبة في كتاب العرش ص (٤٣٨).

والعلو على أقسام: ١ - علو القدر. ٢ - علو القهر. ٣ - علو الذات.

وقد ثبت في صحيح البخاري معلقًا ووصله النسائي في عمل اليوم والليلة من حديث أبي هريرة في القصة التالية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «**وَكَّلَنِي رَسُولُ الله ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَالله لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ الله شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحيُّ الْقَيُّومُ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ الله حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ الله زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ**

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد:٣].

مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحيُّ الْقَيُّومُ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ لَا قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ»[1].

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ فسر النبي ﷺ هذه الأسماء الأربعة بتفسير جامع مختصر وذلك في قوله كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يدعو ويقول: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»[2].

الأول: معناه ليس قبله شيء.

الآخر: ليس بعده شيء.

الظاهر: مشتق من الظهور والعلو فسَّره النبي ﷺ بقوله: «**فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**»، فهو عال فوق كل شيء.

الباطن: ليس دونه شيء وهذا دليل على كمال إحاطته بكل شيء.

ونستفيد من هذه الآية: إثبات أربعة أسماء وخمس صفات.

الأسماء سبقت.

أما الصفات فهي:

الأولى: صفة الأولية: من قوله: «الأول».

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠١) رقم (٢٣١١) معلقًا.

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٤) رقم (٢٧١٣).

الثانية: صفة الآخرية: من قوله: «الآخر».

الثالثة: صفة العلو: من قوله: «الظاهر».

الرابعة: صفة الباطنية، لكن على المعنى الذي فسره النبي ﷺ، ومقتضى ذلك الإحاطة بكل شيء.

الخامسة: صفة العلم، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وخلاصة ما نستفيده من هذه الآية: إثبات إحاطة الله تعالى بكل شيء زمانًا ومكانًا.

قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ التوكل: صدق الاعتماد على الله تعالى في جلب ما ينفع ودفع ما يضر مع الثقة به سبحانه وعدم تعطيل الأسباب الصحيحة.

✓ما معنى عدم تعطيل الأسباب الصحيحة؟

يعني: الأخذ بالأسباب الصحيحة الشرعية، أما إن كانت غير شرعية فهذا غير مشروع.

والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله ﷻ، بل هو من صلب التوكل، وقد جاءت بذلك النصوص، قال تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم:٢٥] ومن السنة هجرة النبي من مكة إلى المدينة هي من فعل الأسباب الشرعية، ومن ذلك اختفاء النبي في غار حراء، ومن ذلك قوله ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ**»[1].

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٢) رقم (٢٦٦٤).

والاستعانة بالله ﷻ هي الاعتماد عليه، وقوله: «**وَلَا تَعْجَزْ**»: أمر بالأخذ بالأسباب، وهذا من أقوى الأدلة على الأخذ بالأسباب الشرعية الصحيحة.

والخلاصة: عظم منزلة التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، وعدم الاعتماد على الخلق أو الاعتماد على قدرات الإنسان، فقدراته مهما كانت ضعيفة، ومن اعتمد على الخلق أو على نفسه خذله الله ﷻ.

✓وقفة قرآنية من درس حنين:

روى البيهقي في الدلائل: «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ: لَنْ نُغْلَبَ مِنْ قِلَّةٍ**»[1]، فحصلت لهم الهزيمة عندما اعتمدوا على أنفسهم وقوتهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥]، حصل هذا للصحابة ﷺ، مع جلالة قدرهم وعلو منزلتهم.

فاحذر يا طالب العلم أن تعتمد على حفظك أو ذكائك أو قدرتك، بل استعن بربك وتوكل عليه، والتوكل يجب أن يكون على الله تعالى وحده ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

✓هل التوكل على غير الله حرام مطلقًا أو فيه تفصيل؟

الجواب: فيه تفصيل على عدة حالات:

الحالة الأولى: أن يتوكل على غير الله توكل اعتماد وتعبد، فهذا شرك أكبر.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٢٣).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[التحريم:٢]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٨].

الحالة الثانية: أن يتوكل على غير الله تعالى بشيء من الاعتماد لكن مع الإيمان بأنه سبب من الأسباب، كتوكل بعض الناس على الملوك والأمراء لتحصيل المعاش، فهذا نوع من الشرك الأصغر.

الحالة الثالثة: أن يتوكل على شخص بقصد أنه نائب عنه فيما تجوز فيه النيابة، كتوكل الإنسان على الوكيل في البيع والشراء، والبيع والشراء مما يدخله النيابة فهذا جائز، ولا ينافي التوكل على الله ﷻ.

مثاله: توكل النبي ﷺ على بعض الصحابة في البيع والشراء، كعروة البارقي رضي الله عنه فقد وكله النبي ﷺ بشراء أضحيته.

✓ما حكم التلفظ بقول: توكلت على فلان في شراء سيارتي؟

بعض أهل العلم منهم شيخنا ابن عثيمين رحمه الله يرى أنه جائز؛ لأنه بمعنى التفويض والوكالة، وبعضهم لا يرى ذلك ويقول: إِنَّ هذا اللفظ من الألفاظ الشرعية التي لم تأتِ إلا في حق الله فلا توكل إِلَّا عليه، وهذا هو الأحوط، وينبغي التعبير عن ذلك بالعبارات التي تقوم مقام لفظ التوكل كأن يقال فوضت فلانًا أو أنبته، ولم أجد دليلًا يدل على جواز التعبير بها لا من كلام الرسول ﷺ ولا من كلام الصحابة رضي الله عنهم.

○ **قوله تعالى:** «﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾»:

الحكيم: مأخوذ من الحكمة ولها معنيان:

الأول: الحاكم العدل الذي له الحكم في الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٧٠].

....

الثاني: المحكم للأمور كي لا يتطرق إليها تغيير وفساد، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾[فاطر:٤١]. فقد أحكم سبحانه وتعالى السماوات والأرض عن الزوال وقوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢].

قال شيخ الإسلام في منهاج السنة: «أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة»[١].

وحكم الله على نوعين:

النوع الأول: حكمه الشرعي: وهو ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب،كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]، وقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾[النور:٢].

النوع الثاني: حكمه الكوني وهو ما قضاه على عباده من الرزق والحياة والموت والمصائب.

الآية الثانية: ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [التحريم:٣].

الخبير: من الخبرة وهي الإحاطة ببواطن الأمور وظواهرها وهو سبحانه قد أحاط ببواطن الأمور كما أحاط بظواهرها.

الشاهد من الآيتين إثبات ثلاثة أسماء: الحكيم، والخبير، والعليم.

أما الصفات المستفادة من الآيتين:

١- العلم.

٢- الخبرة.

٣- الحكمة.

---

(١) منهاج السنة النبوية (١/ ١٤١).



﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا ﴾ [سبأ:٢]، ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام:٥٩]،..

قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا ﴾ إلى آخر الآيات، هذه الآيات التي ذكرها الـمُصَنِّف رحمه الله تدل على سعة علمه سبحانه وعلى إحاطته بما لا تبلغه علوم خلقه، فإنه يعلم ما يلج في الأرض: أي ما يدخل في الأرض من حب وبذر ومياه، ويعلم ما يخرج منها من زرع وأشجار وعيون جارية وغيرها، ويعلم ما ينزل من السماء من ثلوج وأمطار وطير، ويعلم مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

ومفاتيح الغيب: خزائنه.

وقد فسر النبي ﷺ هذه المفاتيح بقوله كما في حديث ابْـنِ عُمَـرَ رضي الله عنه قَـالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ إِنَّ اللهَ عِنْـدَهُ عِلْـمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَـدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**»[(١)].

قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

وهو العَلِيمُ أَحَاطَ عِلْـمًا بالَّـذِي ... فِي الكَوْنِ مِـنْ سِرٍّ وَمِـنْ إِعْـلَانِ

وَبِكُـــلِّ شَيءٍ عِلْمُـــهُ سُـــبْحَانَهُ ... فَهوَ الْـمُحِيطُ وَلَـيْسَ ذَا نِسْـيَانِ

وَكَذَاكَ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ غَـدًا وَمَـا ... قَدْ كَـانَ وَالْـــمَوْجُودَ فِي ذَا الآنِ

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٥٦) رقم (٤٦٢٧).

وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر:١١]، وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢].

إذن مفاتيح الغيب جاء بيانها على لسان النبي ﷺ، وأفضل أنواع التفسير تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالحديث، والنبي ﷺ قد فسر هذه المفاتيح بما يلي:

الأول: علم الساعة:

الثاني: نزول الغيث: والمراد به المطر، فإذا كان سبحانه هو الذي ينزل الغيث فهو أعلم بوقت نزوله.

ونلاحظ أن التعبير في القرآن عن المطر يأتي بلفظ الغيث، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى:٢٨].

✓ما الحكمة من التعبير بالغيث دون المطر؟

الغيث: هو الذي تحيا به الأرض، أما المطر: فقد ينزل ولا تحيا به الأرض، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا وَلَكِن السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا وَلَا تُنْبِت الْأَرْضُ شَيْئًا**»[1]، ينزل المطر ولا تنتفع به الأرض.

الثالث: علم ما في الأرحام، لقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان:٣٤].

قد يقول قائل: تقدم الآن الطِّبُ الحديث وأصبحوا يعرفون هل الجنين ذكر أم أنثى، والله يقول: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ فما الجواب على ذلك؟

الجواب من وجهين:

الوجه الأول: أنه قبل أن يتكون الجنين أو تنفخ فيه الروح لا يعلمون ذلك، ولا يعلمه إلا الله سبحانه، أما بعد النفخ في الروح فيعلمون بذلك عن طريق الأجهزة.

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٢٨) رقم (٢٩٠٤).

الوجه الثاني: أن علمهم قاصر فلا يعلمون متى يولد الجنين، وهل يعيش أو لا، ولا يعلمون رزقه، وأجله وشقي أو سعيد، لا يعلم ذلك إلا الله تعالى.

الرابع: علم ما في الغد: وهذا مما اختص الله ﷻ به.

قد يقول قائل: إن الإنسان قد يقول إني أعلم ما سأفعل غدًا، وذلك إذا عزم على الفعل فكيف نقول لا يعلم ما في غد إلا الله؟

الجواب: قد يقول هذا وينوي ويعزم، لكن لا يتحقق، والواجب على المسلم ربط ذلك بالمشيئة فلا يقول سأعمل غدًا كذا بدون ذكر مشيئة الله ﷻ، وقد يعاقب إذا لم يذكر المشيئة.

الخامس: **وما تدري نفس بأي أرض تموت**:

يدخل في ذلك علم ساعة الموت.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

وفي قراءة ابن مسعود كما في سنن أبي داود والترمذي قال: «**أَقْرَأَنِي رَسُولُ الله** ﷺ: ﴿إِنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ المَتِينُ﴾»[1].

«**ذو القوة**»: أي صاحب القوة.

«**المتين**»: من أسماء الله تعالى، من المتانة، وقد فسرها ابن عباس: بالشدة، وفسر المتين بالشديد.

ففي هذه الآية ثلاث صفات واسمان لله تعالى:

الأسماء: ١ - الرزاق. ٢ - المتين.

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣٥) رقم (٣٩٩٣)، وسنن الترمذي (٥/ ١٩٢) رقم (٢٩٤٠).

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨].

والصفات:

١- صفة القوة لله عز وجل.

٢- صفة الرزق.

٣- ما تضمنه اسم المتين، وقد فسره ابن عباس بالشدة.

«**الرزاق**»: صيغة مبالغة من الرزق وهو العطاء.

والرزق قسمان: عام وخاص:

١) **الرزق العام**: ما ينتفع به البدن سواءً كان ذلك حلالًا أو حرامًا وسواءً كان هذا المرزوق مؤمنًا أو كافرًا.

٢) **الرزق الخاص**: وهو ما يمن الله تعالى به على بعض عباده من العلم النافع والإيمان والعمل الصالح والرزق الحلال الذي يعين على طاعة الله.

قال ابن القيم:

وَكَذلكَ الرَّزَّاقُ مِنْ أَسْمَائِهِ ... وَالرِّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوْعَانِ

رِزْقُ القُلُوبِ العِلْمُ وَالإِيمانِ والـ ... رِّزْقُ الْمُعَدُّ لِهَذِه الأَبْدَانِ

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ مَرَّ في شرح اللامية والحائية.

○ **وقوله:** «﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾». (نعما): مشتملة على: (نعم) وهي كلمة مدح والمعنى: نعم الشيء الذي يعظكم الله به.



ومَنْ هو أعظم واصف بهذه الكلمة «نِعْم»؟

الجواب: أعظم واصف هو الله تعالى، وأعظم من وُصِفَ بذلك الأنبياء ومنهم أيوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:٤٤].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، سمع الله نوعان:

١- سمع إدراك للأصوات.

٢- سمع الإجابة، إجابة السائلين والداعين، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم:٣٩].

قال ابن القيم:

وَهْوَ السَّمِيعُ يَرَى وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا ... فِي الْكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

وَلِكُلِّ صَوْتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حَاضِرٌ ... فَالسِّرُّ وَالإِعْلَانُ مُسْتَوِيانِ

والشاهد من الآيتين السابقتين: إثبات السمع والبصر لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.

ثم ذكر الـمُصَنِّف بعد ذلك أربع آيات في صفة المشيئة، والإرادة، والتحليل، والحكم.

فالآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف:٣٩]. فيها إثبات عدد من الصفات لكن أهمها صفة المشيئة من قوله ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾.

الصفات الأخرى المستنبطة: القوة من قوله: ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾، والألوهية من قوله: ﴿ٱللَّهُ ﴾.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١].

أما صفة المشيئة التي أراد الـمُصَنِّف الإشارة إليها: هنا فهي إرادة الله الكونية النافذة، وتكون فيما يحب وفيما لا يحب.

- فيما يحب: كالإيمان والطاعات وغير ذلك مما أمر الله به.
- فيما لا يحب: كالكفر والفساد، وغير ذلك مما نهى الله عنه.

وإرادة الله ومشيئته الكونية نافذة على جميع العباد ولا يستثنى من ذلك أحد.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

نثبت من هذه الآية ثلاث صفات:

أولًا: المشيئة من قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

ثانيًا: الإرادة من قوله: ﴿مَا يُرِيدُ﴾.

ثالثًا: الفعل من قوله: ﴿يَفْعَلُ﴾.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١].

نثبت من هذه الآية ثلاث صفات:

أولًا: التحليل من قوله: ﴿أُحِلَّتْ﴾.

ثانيًا: الحكم من قوله ﴿يَحْكُمُ﴾.

ثالثًا: الإرادة من قوله: ﴿مَا يُرِيدُ﴾.



وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[الأنعام:١٢٥].

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

نثبت من هذه الآية خمس صفات:

١ - الإرادة.

٢ - الهداية.

٣ - شرح الصدور.

٤ - الإضلال.

٥ - الجعل.

والإرادة تنقسم إلى قسمين:

١) **الإرادة الكونية**: وهي المرادفة للمشيئة، أراد فيها بمعنى شاء، وتكون فيما يحب الله وفيما لا يحب، ويلزم فيها الوقوع.

٢) **الإرادة الشرعية**: المرادفة للمحبة، أراد فيها بمعنى أحب، مختصة بما يحب سبحانه وتعالى، ولا يلزم فيها الوقوع.

✓**إشكال: كيف يريد الله ما لا يحب؟**

ما يريده الله مما لا يحب، يترتب عليه جملة من الحكم والمصالح الكثيرة، **مثال ذلك**: إرادة الله للكفر في الأرض يترتب عليه مجاهدة الكفار والدعوة إلى الله، ونشر الحق، والصراع بين الحق والباطل.

فإن من أسباب ظهور الدين مقاومة هؤلاء الكفار.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف:٤]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ [البروج:١٤].

ثم ذكر ثماني آيات متعلقة بصفة المحبة لله عز وجل قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، وقال تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٧].

و قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف:٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ [البروج:١٤].

اشتملت هذه الآيات التي ذكرها الـمُصَنِّف رحمه الله على إثبات صفة المحبة لله جل وعز وهي من الصفات الفعلية، وقد دل على إثباتها الكتاب والسنة والإجماع، ولكنها كما يقول أهل السنة على ما يليق بجلال الله وعظمته، خلافًا للنفاة الذين نفوا صفة المحبة لله عز وجل.



....

✓ما سبب هذا النفي الذي قالوا به؟

سبب النفي مخافة التشبيه، تشبيه الخالق بالمخلوق، يقولون: لا نثبت لله محبة؛ لأن المخلوق موصوف بها.

الجواب: لله تعالى محبة وللمخلوق محبة، ولكن ليست محبة الله تعالى كمحبة المخلوق، فمحبة الله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه، أما محبة المخلوق الضعيف فعلى قدر ضعفه ومسكنته، والله ﷻ قد أثبت في كتابه العزيز المحبة من الطرفين في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤] أثبت له المحبة وأثبت لهم المحبة، فقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ هذه محبة الخلق، ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ هذه محبة الله تعالى.

✓ما أسباب محبة الله لعبده؟

ثمة أسباب كثيرة أهمها:

١) كثرة التأمل في نعم الله ﷻ، فهذا مما يزيد الإيمان ويعلق بالله جل وعز، ويوصل لهذه المنزلة العالية.

٢) محبة ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأفعال والأعمال والأشخاص.

٣) كثرة ذكر الله تعالى وشكره وحمده.

٤) اتباع سنة النبي ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

وأحسن من تكلم في هذه المسألة ابن القيم رحمه الله، وخرجت رسالة مستلة من بعض كتبه بعنوان: «الأسباب الجالبة لمحبة الله».

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١]، ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر:٧]، ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٣]،﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف:١٥٦]،﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف:٨]، ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤].

هذه الآيات السبع كلها في صفة الرحمة لله عز وجل.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يؤخذ منها صفة الرحمة، وهي الصفة المشتركة في هذه الآيات السبع، وهي سبب ذكر هذه الآيات.

﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ يؤخذ منها صفة الرحمة، وقد دلت الآية على أكثر من الوصف بصفة الرحمة؟ دلت على سعة رحمة الله تعالى.

الصفة الثانية من الآية: سعة العلم، وقد أفادت الآية وصف رحمة الله وعلمه بالسعة.

﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ نأخذ من الآية: صفة الرحمة والرحمة تنقسم إلى قسمين: رحمة عامة، ورحمة خاصة.

فالرحمة في الآية هي الرحمة الخاصة بالمؤمنين؛ لقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾، و﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ تدل الآية على سعة رحمة الله سبحانه وتعالى.

﴿كُلَّ﴾ من ألفاظ العموم، ﴿شَيۡءٖ﴾ نكرة، (كل) مضاف و(شيء) مضاف إليه، عموم أضيف إلى عموم والصفة هنا هي الرحمة، فنأخذ من ذلك إثبات سعة رحمة الله سبحانه، وهذا مما يزيد المؤمن أملًا في رحمة الله وطمعًا في فضله.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ يؤخذ منها صفة الرحمة، كما يؤخذ منها صفة الكتابة من قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ يؤخذ من الآية: صفة المغفرة، وصفة الرحمة.

﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ يؤخذ من الآية: صفة الرحمة، كما يؤخذ منها وصف زائد على الرحمة وهو أنه أرحم الراحمين، كما يؤخذ من الآية صفة ثالثة وهي صفة الحفظ وأنه سبحانه هو الحافظ، بل هو خير حافظًا.

الخلاصة من هذه الآيات: أنها تضمنت:

١- صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى، وهناك صفات أخرى وهي:

٢- سعة العلم.

٣- سعة الرحمة.

٤- الكتابة.

٥- المغفرة.

٦- خير حافظًا.

٧- أرحم الراحمين، فهذه سبع صفات لله سبحانه.

والأسماء التي نأخذها من هذه الآيات هي: الله، الرحمن، الرحيم، الغفور.

وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ﴾ الكتابة على قسمين: كتابة شرعية، وكتابة كونية.

١) **الكتابة الشرعية:** ولها أمثلة، منها: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞ﴾ [المائدة:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾ [البقرة:١٧٨].

وكل كتابة تتعلق بالتشريع والأحكام، فهي كتابة شرعية.

وَقَوْلُهُ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [البينة:٨].

---

٢) **الكتابة الكونية**: مثل قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة:٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤].

ويقال في الفرق بينهما كما قيل في الفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية.

○ **قوله:** «﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾»، تضمنت هذه الآية: إثبات صفة الرضى لله تعالى، وقال تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢]،

وجاء في السنة إثبات هذه الصفة، من ذلك ما جاء في البخاري ومسلم من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجنَّةِ يَا أَهْلَ الجنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»[1].

الشاهد من الحديث: «**أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**».

قال ابن القيم:

فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ هَلْ أَنْتُمُ ... رَاضُونَ قَالُوا نَحْنُ ذُو رِضْوَانِ

أَمْ كَيْفَ لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا ... مَا لَمْ يَنَلْهُ قَطُّ مِنْ إِنْسَانِ

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ١١٤) رقم (٦٥٤٩)، وصحيح مسلم (٤/ ٢١٧٦) رقم (٢٨٢٩).



وَقَوْلُــهُ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣].

والله سبحانه وتعالى موصوف بصفة الرضى، **ولكن ما مُتعلقُ هذه الصفة، هل هي متعلقة بالعمل أم بالعامل؟**

الجواب: كلاهما، فهو سبحانه وتعالى يرضى عن العمل كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧]، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وجاء في السنة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ المالِ**»(١).

وأما الأدلة الدالة على أن الرضى يتعلق بالعامل أيضًا فكثيرة منها قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [البينة:٨]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:١٨].

ثم ذكر الـمُصَنِّف خمس آيات متعلقة ببعض الصفات:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣].

الصفات الواردة، صفة الغضب، وصفة اللعن وهما على ما يليق بجلال الله.

وفي الآية عقوبة القاتل عمدًا، وهي خمس: جزاؤه جهنم، الخلود فيها، غضب الله جل وعز، لَعْنُ الله له، أن الله أعد له عذابًا عظيمًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٤٠) رقم (١٧١٥).

....

✓وثمة إشكالان في هذه الآية الكريمة:

الإشكال الأول: جاء في هذه الآية ذكر الخلود في النار في حق القاتل عمدًا فهل القتل عمدًا كفر يستوجب الخلود في النار، ونحن نعرف أن مذهب أهل السنة في عصاة الموحدين وأهل الكبائر أنهم لا يخلدون في النار؟

أجيب على هذا بعدة أجوبة: أوصلها أهل العلم إلى خمسة أجوبة، أرجحها وأصحها أن المراد بالخلود المكث الطويل وليس الدائم، وجرت العادة أن يعبر العرب بمثل هذه العبارات مثل قول بعضهم: «محمد خالدٌ في السجن» أي: يمكث مكثًا طويلًا، ولهذا لم يذكر الله سبحانه وتعالى هنا «التأبيد» بينما ذكره في حق الكفار كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥] فذكر في حق الكافرين الخلود مع التأبيد، أما الخلود بلا تأبيد فهو في حق عصاة الموحدين.

الإشكال الثاني: أنه ثبت عن ابن عباس كما في مسند الإمام أحمد أن القاتل لا تقبل له توبة[1]، مع أنه جاء التصريح بقبول توبته في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

---

(١) المسند (١/ ٢٤٠) رقم (٢١٤٢) عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس، والحديث أصله في صحيح البخاري (٦/ ٤٧) رقم (٤٥٩٠)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٣١٧) رقم (٣٠٢٣) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

فاستثنى الله التائب من هذه الذنوب الثلاث وإذا كانت التوبة تقبل من المشرك فمن باب أولى قبول توبة القاتل، وكيف نجيب على ما جاء عن ابن عباس؟

هناك عدة أجوبة:

الجواب الأول: أن مراد ابن عباس ﵁ أنه لا يوفق للتوبة.

الجواب الثاني: أن المراد أنه لا توبة له في ما يتعلق بحق المقتول؛ لأن القاتل عليه ثلاثة حقوق: حق لله تعالى، وحق للمقتول، وحق للورثة، وهذا الأمر متعلق بحق المقتول، أي أنه حتى لو تاب يقتل إذا لم يعفُ، وتوبته غير نافعة في ذلك.

الجواب الثالث: أن ابن عباس ﵁ لم يرد بما قال إن القاتل لا توبة له مطلقًا، وإنما هي قضية عين، أي أنها فتوى خاصة لشخص معين علم ﵁ أنه عازم على القتل، فسأله هل للقاتل توبة فأفتاه ابن عباس بأنه لا توبة له وأراد أن يحجزه ويمنعه من القتل بهذا الحكم، ولذلك ارتدع عن القتل ولو قال له: «لك توبة» لقتله وتجرأ على دمه، ثم طلب التوبة بعد ذلك، فهذا الحكم من ابن عباس من باب السياسة الشرعية، وهو دليل على دقة نظر ابن عباس وعمقه وفقهه.

وَقَوْلُهُ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف:٥٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦].

الآية الثانية: قوله تعال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٢٨]، فنثبت من هذه الآية صفتين: صفة السخط، وصفة الرضى.

قوله: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾: أي أغضبونا فدلت على إثبات صفة الغضب، وكذلك صفة الانتقام لقوله: ﴿ٱنتَقَمْنَا ﴾.

قوله: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ﴾ فيه إثبات صفة الكره لله تعالى ولكنه على ما يليق بجلاله، وعظمته، وقال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ المالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»(١).

وهل هي كراهة للعمل أو للعامل؟

كلاهما، فقد قال ﷺ: «**إِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ**». وفيه: «**وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ**»(٢).

هذا البغض للعامل، أما البغض للعمل كما في قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٢٤) رقم (١٤٧٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤١) رقم (٥٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٠) رقم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة ﵁.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣][(١)]، وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢١-٢٢]، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان:٢٥].

قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ المقت هو أشد البغض، نأخذ من هذه الآية إثبات صفة المقت لله على ما يليق بجلاله.

قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ **إلى آخر الآيات**، ذكر الـمُصَنِّف هنا أربع آيات.

يؤخذ من هذه الآيات إثبات صفة المجيء والإتيان لله تعالى يوم القيامة، وهو مجيء حقيقي على ما يليق بجلاله وذلك لفصل القضاء بين العباد في أشد موقف يمر على البشرية جميعًا ولهذا يجيب الأنبياء حين تطلب منهم الشفاعة بقول: «**إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**» كما في حديث أبي هريرة في الصحيحين[(٢)].

وهذه الصفة (المجيء) صفة فعلية.

بماذا أجاب النفاة على هذه الآيات التي دلت على صفة ا لمجيء؟

منهم من قال: المراد بالمجيء الرحمة، ومنهم من قال: جاء أمر ربك، ومنهم من قال: مجيء الملائكة، وهذه الأجوبة تحريف لظاهر القرآن.

---

(١) سقطت آيةٌ مهمةٌ هنا وهي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة:٢١٠].

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٣٤) رقم (٣٣٤٠)، وصحيح مسلم (١/ ١٨٤) رقم (١٩٤).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، ....

قال ابن القيم: «والإتيان والمجيء المضاف إليه سبحانه نوعان: مطلق، ومقيد، فإذا كان المراد مجيء رحمته أو عذابه ونحو ذلك قيد بذلك كما في حديث: «**حَتَّى جَاءَ اللهُ بِالرَّحْمَةِ وَالخيْرِ**».

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢] هنا فيه ذكر للمجيء لكن مقيد بالكتاب، النوع الثاني: الإتيان والمجيء المطلق فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]»(١).

وهذه الصفة يقال عنها كما يقال في بقية الصفات على ما يليق بجلال الله وعظمته.

قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

ما هي الصفات المثبتة من هذه الآية؟

١- صفة البقاء والدوام لله عز وجل.

٢- صفة الوجه لله جل وعز.

٣- صفة الجلال.

٤- صفة الإكرام: وهو سعة الفضل والجود.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص (٤٤٨).



﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

وقوله: ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ يحتمل معنيين:

الأول: أنها بمعنى أنه يكرم أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين ويكرم أيضًا من يشاء من خلقه بما يشاء.

الثاني: أنه المستحق للتكريم والإجلال والتعظيم بتوحيده وعبادته ولا مانع من القول بشمول الآية للمعنيين.

قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، ذكر الـمُصَنِّف ﷺ هذه الآية وما قبلها لأجل إثبات صفة الوجه لله جل وعلا، وهو وجه حقيقي يليق بجلاله، خلافًا للمعطلة الذين يفسرون الوجه بالجهة وبعضهم يفسره بالذات، وكل هذا من التأويل الفاسد.

ولا شك أَنَّ صفة الوجه ثابتةٌ لله تعالى بإجماع أهل السنة، وهذه الآيات التي ذكرها المصنف فيها إثباتٌ لصفة الوجه، خلافًا للمعطلة. ولكن هنا سؤالٌ يطرأ على قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وهو: هل المراد بالآية هنا أن يهلك كل شيءٍ، فلا يبقى إلا وجه الله فقط؟ ولا شك أَنَّ هذا غير مراد، بل هو معنىً باطل. ومن هنا ضلت طائفتان في فهم هذه الآية:

الطائفة الأولى: قالت: نحن نثبت الوجه لله تعالى، ونفهم من هذه الآية أَنَّ الله تعالى يفنى ويبقى وجهه فقط. ولا شك أَنَّ هذا القول باطل وضلالٌ مبين، وجنايةٌ في حق الله تعالى. وهذا مذهب بعض المشبهة كغلاة الرافضة القدامى، ونحوهم.

....

الطائفة الثانية: قالت: المراد بالوجه هنا الذات، ولم يثبتوا لله تعالى وجهًا يليق بجلاله، لا من هذه الآيات ولا غيرها من النصوص. ولا شك أَنَّ هذا مذهبٌ باطلٌ أيضًا، وهو تحريفٌ لصفات الله تعالى. وهذا مذهب كافة المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ونحوهم.

والتحقيق الذي نصره المحققون من أهل السنة: أَنَّ المراد بهذه الآية وشبيهاتها الذات الإلهية المتصفة بصفة الوجه. والفرق بين هذا القول وقول المعطلة: أَنَّ المعطلة صرفوا معنى الوجه إلى الذات، ولم يثبتوا لله وجهًا، وأما أهل السنة، فقالوا: المراد بالوجه هنا الذات المتصفة بصفة الوجه. ولأنه سبحانه له وجهًا؛ فلذلك عبر به عن الذات. وبهذا يتضح الرد على دعاة التأويل الباطل الذين يزعمون أَنَّ أهل السنة قد أولوا بعض النصوص[1].

والذي عليه أهل السنة أن الوجه صفة من صفات الله مغايرة للذات كبقية الصفات مثل (إثبات اليدين لله) هل يقال المراد باليدين الذات؟ لا إنما هي صفة مستقلة لله نثبتها لله على ما يليق به، ومؤدى هذا القول، وهو أن المراد بالوجه الذات، تعطيل صفات الله مطلقًا.

والحق: إثبات صفة الوجه لله تعالى على ما يليق بجلاله وأن هذه الصفة مغايرة للذات وليس كما قاله المعطلة، والوجه معناه معلوم، نؤمن به ونصفه بالجلال والإكرام والبهاء والعظمة والنور، كما في صحيح مسلم من حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[2].

---

(١) راجع في ذلك: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٩٠)، طبعة دار ابن الجوزي.

(٢) صحيح مسلم (١/ ١٦١) رقم (١٧٩).

وبصره سبحانه ينتهي إلى كل شيء، ولو كشف سبحانه حجاب النور عن وجهه لاحترق كل شيء.

وسبحات وجهه: بهاؤه وعظمته وجلاله ونوره.

أما كيفية الوجه فهي مجهولة لنا لا نعلم كيفية وجه الله سبحانه.

وهنا مسألة: ما المراد بالوجه في النصوص؟

لا يخفى أنه يأتي في القرآن ذكر الوجه لله تعالى فهل المراد به دائمًا الوجه الحقيقي في كل آية جاء فيها ذكر الوجه أو هناك تفصيل؟

الجواب: أن الأصل في الآيات التي يأتي فيها ذكر الوجه أن المراد من ذلك وجه الله تعالى كما في قوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢]، وكما في ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل:٢٠]. فالأصل أن المراد بالوجه المضاف إلى الله هو وجه الله الذي هو صفة من صفاته.

ولكن اختلف المفسرون في آية البقرة وهي قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥] هل المراد بذلك وجه الله أو المراد الجهة، فقال جماعة من المفسرين أن الوجه هنا الجهة لقوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة:١٤٨] فالمراد بالوجه الجهة فيكون المراد على قولهم: أينما تولوا فثم جهة الله، والذي رجحه جماعة من أهل التحقيق ومنهم شيخنا ابن عثيمين: أن المراد بالوجه هنا الوجه الحقيقي لله سبحانه فيكون المعنى: إلى أي جهة تتوجهون فثم وجه الله، والله محيط بكل شيء، ومما يدل على ذلك ما جاء في البخاري ومسلم من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى**»[1].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٩٠) رقم (٤٠٦)، وصحيح مسلم (١/ ٣٨٨) رقم (٥٤٧).

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]،

وهنا إشكال: وهو أننا عرفنا مذهب الحلولية الذين يقولون: إن الله حال في كل مكان، فهل لقائل أن يقول: إن هذا القول موافق لمذهب الحلولية؟

والجواب: ليس كذلك، وسبق الكلام على مسألة العلو وأن الله لا يقاس بالخلق، فلا يدل ذلك على مذهب الحلولية، ومذهب أهل السنة عدم تحديد الجهة أو التجسيم أو القياس بالخلق فالله أجل وأعظم، والقاعدة العظيمة في هذا الباب: «أنه لا مجال للعقل فيه بل هو مقيد بالنصوص الشرعية».

قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ هاتان الآيتان تضمنتا إثبات اليدين لله تعالى، وهما يدان حقيقيتان على ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه.

✓ماذا قالت المعطلة عن هذه الصفة؟

قالوا المراد النعمة أو القدرة.

وسياق الآية رد على مذهبهم؛ لأنه لا يمكن حملها على النعمة أو القدرة.

لأن تأويل اليد بالقدرة فيه إبطال لما اختص الله تبارك وتعالى به بعض مخلوقاته تفضيلًا لهم على غيرهم، كما خص آدم بأن خلقه بيده، والقول بأن المقصود باليد القدرة فيه مساواة بين آدم عليه السلام وإبليس؛ لأن الله تعالى خلق إبليس أيضًا بقدرته، فلا معنى حينئذ لتخصيص آدم بأن الله خلقه بيده.

ولا يمكن حمل هذا على النعمة، والله تعالى لا تعد نعمه.



وَقَوْلُهُ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [الطور:٤٨]، ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر:١٣-١٤]، ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه:٣٩]...

وكذلك لفظ اليدين بالتثنية لم يأت إلا في اليد الحقيقية، ولم يأت بمعنى القدرة أو النعمة، فإنه لا يسوغ أن يقال خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين؛ لأن قدرة الله مطلقة وليست قدرتين، وكذلك نعمه كثيرة وليست نعمتين ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل:١٨].

قوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ **وقوله**: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾، **وقوله**: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ هذه ثلاث آيات في صفة العين لله تعالى، ومذهب أهل السنة إثبات العينين على ما يليق بجلاله وعظمته.

جاء في بعض الآيات الجمع ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ وجاء الإفراد ﴿عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ فكيف نجمع بين هذه الآيات؟

الجواب: قوله ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ جاءت بالإفراد لأن المفرد إذا أضيف يعم، وأما قوله ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ فجاءت بالجمع؛ لأن أقل الجمع اثنين، وهذا على رأي جماعة من أهل اللغة، وأما إذا قيل إن أقل الجمع ثلاثة فلا يستقيم هذا الجواب ويكون الجواب الصحيح أن الجمع هنا للتعظيم.

الخلاصة:

أن النصوص دلت على إثبات عينين لله على ما يليق بجلاله، وهي صفة ذاتية خبرية، فالله لم يزل ولا يزال متصفًا بها، وسبق معنا أن الصفة الذاتية هي التي لا تنفك عن الله تعالى بل لم يزل ولا يزال موصوفًا بها.

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠].

ما الدليل على إثبات العينين لله تعالى؟

الدليل قوله ﷺ عن المسيح الدجال كما في الصحيحين: «**إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»[1].

وهذا الحديث يدل على أن لله عينين اثنتين؛ لأنه لو كان لله أكثر من عينين لقال: (إن ربكم له أعين)، ولو كان كذلك لبينه النبي ﷺ، ولكنه قال عن المسيح إنه أعور، فذكر أن هذا عيبٌ فيه، ونزه الله عن ذلك فقال: «**وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»، فمقتضى هذا إثبات عينين لله تعالى على ما يليق بجلاله.

ثم ذكر الـمُصَنِّف ؒ آيات أخرى في الصفات:

قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ نثبت منها صفة السمع من قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾، ونثبت أيضًا صفة البصر من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ الصفة المثبتة أيضًا هي: صفة السمع .

وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ الصفة المثبتة أيضًا هي: صفة السمع.

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ٦٠) رقم (٧١٣١)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٢٤٨) رقم (٢٩٣٣).

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦] **وَقَوْلُهُ:** ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق:١٤]، ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الشعراء:٢١٨-٢٢٠]، ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ الصفات المثبتة:

١- صفة المعية: من قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾.

٢- صفة السمع: من قوله: ﴿أَسۡمَعُ﴾.

٣- صفة الرؤية: من قوله: ﴿وَأَرَىٰ﴾.

قوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ الصفة المثبتة: الرؤية.

قوله: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ الصفات المثبتة:

١) صفة الرؤية.

٢) صفة السمع.

٣) صفة العلم.

قوله: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ الصفات المثبتة:

١) صفة السمع.

٢) صفة البصر.

٣) صفة المعية.

٤) صفة العلم.

٥) صفة الرؤية.

....

السمع المضاف إلى الله ينقسم إلى قسمين:

١) سمع يتعلق بالمسموعات، ومعناه إدراك الصوت.

٢) سمع بمعنى الاستجابة.

وقد قسم العلماء السمع المتعلق بإدراك الأصوات إلى ثلاثة أقسام:

الأول: السمع الذي يقصد به التهديد، كما في قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾.

الثاني: السمع الذي يقصد به التأييد، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

الثالث: السمع الذي يقصد به الإحاطة، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

بعد ذلك ذكر المُصَنِّف رحمه الله جملة من الآيات المشتملة على: إثبات صفتي المكر والكيد لله عز وجل وهما من الصفات الاختيارية.

لكن أهل العلم يذكرون أن هذه الصفات وما جاء بنحوها من باب المقابلة، فيمكر الله بمن يمكر به، ويكيد لمن أراد الكيد له سبحانه وتعالى، ومن ذلك الاستهزاء فالله يستهزئ بمن يستهزئ به.

نلاحظ في هذه الآيات الواردة في هذا الباب أنها جاءت مقيدة وليست مطلقة، أي لم يأت وصف الله بالمكر مطلقًا بل وصف الله نفسه بهذا لمن يمكر به وهكذا صفة الكيد والاستهزاء وعلى هذا لا يجوز اشتقاق اسم الماكر والكايد والمستهزئ.



وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[الرعد:١٣]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:٥٤]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [النمل:٥٠]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ [الطارق:١٥،١٦]. **وَقَوْلُهُ:** ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴾[النساء:١٤٩].

وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ معناه شديد الأخذ بالعقوبة، قال علي رضي الله عنه: «﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ **أي: شديد الأخذ**»[١]، وقال ابن عباس: «**أي: شديد الحول**»[٢]. والمحال والمماحلة المراد بهما المماكرة والمغالبة.

الخلاصة: في معنى هذه الآيات أن الله تعالى شديد المكر والكيد والعقوبة لأعدائه فهو سبحانه وتعالى يفجأهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون.

والكيد على نوعين:

١) **كيد قبيح:** وهو إيصال الكيد لمن لا يستحقه.

٢) **كيد حسن:** وهو إيصال الكيد لمن يستحقه من باب العقوبة.

فالنوع الأول كيد مذموم وينزه الله تعالى عنه، والذي يوصف بالكيد هو المخلوق، أما الله سبحانه فكيده حسن، ولا يكيد سبحانه إلا لمن يستحق الكيد.

ذكر الـمُصَنِّف رحمه الله بعد ذلك جملة من الآيات المتعلقة ببعض الصفات:

قوله: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴾

الصفات المأخوذة من هذه الآية:

١) العفو: من قوله: ﴿عَفُوّٗا﴾.

٢) القدرة: من قوله: ﴿قَدِيرًا ﴾.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٩٦).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٩٦).

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢]
وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

قوله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ نثبت من الآية صفتين هما:

١) صفة المغفرة.

٢) صفة الرحمة.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ نأخذ منها صفة العزة من قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ نأخذ منها صفة العزة.

قال شيخ الإسلام في منهاج السنة: «فيها إثبات العزة لله تعالى، ومعنى هذه الصفة الكريمة دائر على القوة والامتناع والغلبة فإن العرب تقول: عزَّ يعزُّ بالفتح إذا قوي، وعزَّ يعِزُّ بالكسر إذا امتنع، وعزَّ يَعُزُّ بالضم إذا غلب»[1].

هذه الآيات الأربع التي ذكرها المُصَنِّف رحمه الله قد تضمنت إثبات خمس صفات:

١) صفة العفو.

٢) صفة القدرة.

٣) صفة المغفرة.

٤) صفة الرحمة.

٥) صفة العزة.

---

(١) منهاج السنة (٣/ ٣٢٥).



وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٢].

وقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص:٨٢] في هذه الآية أخبر الله ﷻ عن إبليس الرجيم أنه أقسم بعزة الله على أمرٍ كبيرٍ، وهو إغواء بني آدم وتزيين الشهوات لهم، لكن جاءت البشرى بعد ذلك بسلامة المخْلَصِين الذين لا يقدر على إضلالهم لقوة تمسكهم بدينهم واعتمادهم على الله عز وجل ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٣].

وفي هذه الآية رد على بعض الطوائف التي أنكرت الجن، ويحتكمون إلى العقل وإلى الاحتجاج بعدم المشاهدة، ولا حجة في ذلك لأنهم عالم غيبي بالنسبة لنا.

وقد ذكر شيخ الإسلام ؒ في بعض كتبه أنهم يتمثلون ببعض الصور قال ؒ: «والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وفي صور الطير وفي صور بني آدم كما أتى الشيطان قريشًا في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج إلى بدر قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الأنفال:٤٨]، وكما روي أنه تصور في صورة شيخ نجدي لما اجتمعوا بدار الندوة»[(١)].

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٤٤،٤٥).

وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤].

قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨] ذكر هذه الآية لإثبات الاسم لله تعالى، وقد دلت الآية على البركة في هذا الاسم.

والبركة إما أن يوصف الله بها فيكون المعنى: تعالى وتعاظم، كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]، وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون:١٤].

وإما أن يوصف اسم الله بها كما في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨]، ويكون المعنى على هذا: أن اسم الله إذا صاحب شيئًا حلت فيه البركة، ولذلك شُرِعَ ذكر اسم الله في مواطن كثيرة: عند قراءة القرآن، وعند الذبح، وعند الجماع وغيرها، والثمرة من ذلك حلول البركة في هذا العمل الذي يعمله الإنسان.

ثم ذكر الـمُصَنِّف رحمه الله بعض الآيات المتعلقة بصفات السلوب أي الصفات المنفية.

والصفات على نوعين:

١) صفات مثبتة.

٢) صفات منفية.

وهذه الآيات التي ذكرها الـمُصَنِّف رحمه الله متعلقة بالصفات المنفية.

قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] هذه الآية فيها نفي المماثل والسَّمِي لله تعالى.

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤] نفي المكافئ لله تعالى.



﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، ....

قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] نَهي عن اتخاذ الند مع الله، ويلزم منه نفي الند أو الأنداد لله تعالى.

وهذا مأخوذ من الآية التي بعدها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] كذلك يستلزم نفي الند والأنداد.

وقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

المحبة على أقسام خمسة:

١- **محبة الله**: وهي غير كافية للنجاة من النار ودخول الجنة فإن المشركين واليهود والنصارى يدّعون ذلك قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨].

٢- **محبة ما يحبه الله.**

٣- **المحبة في الله**: وهي فرض على المسلم كمحبة أولياء الله وما يترتب عليها من بغض أعدائه فمن أحب الله وأحب أولياءه فلا بد أن يبغض أعداء الله وعليه لا يمكن أن تجتمع محبة أولياء الله ومحبة أعداء الله، قال ابن القيم:

أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الحَبِيبِ وَتَدَّعِي   حُبًّا لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ

٤- **المحبة مع الله**: وهي المحبة المستلزمة للخوف والتعظيم، فهذه إن وُجِدَتْ في قلب عبد - أي محبة الله وتعظيم غيره - فهي محبة شركية.

٥- **المحبة الطبيعية**: وهي ميل الإنسان ميلًا طبيعيًا إلى ما يلائم طبعه كمحبة الولد ومحبة المال ومحبة الزوجة، فهذا في الأصل جائز لكن قد يكون مذمومًا إذا أشغل عن طاعة الله.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢،١]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٩٢،٩١].

وقوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١] هذه الآية فيها نفي الولد، ونفي الشريك، ونفي الولي عن الله أي: لا أحد يتولاه.

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١] في الآية تنزيه لله تعالى فإن التسبيح معناه التنزيه.

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ نفي أن يكون له شريك في ملكه، قال: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ ولم يقل: **(الملك له)** وتقديم الخبر هنا يفيد الحصر وهو حصر الملك لله تعالى.

قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ **الصفات المنفية في هذه الآية:** الولد والشريك.

قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٩٢،٩١] في الآيتين نفي الولد ونفي المشاركة في الألوهية.



﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٤]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

قوله: ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٤] فيها نفي المماثل لله تعالى.

قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣] فيها نفي الشريك.

وفي الآيات السابقة عدد من الصفات المثبتة، وهي:

١) الملك.

٢) القدرة.

٣) العلم.

٤) العلو.

٥) الخلق.

٦) الحكمة.

٧) القدرة.

٨) الكبرياء.

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ **فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ: فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ؛ قَوْلُهُ:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [يونس:٣]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الرعد:٢]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ طه:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ:** ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ الم السَّجْدَةِ:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السجدة:٤]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ الحدِيدِ:** ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الحديد:٤].

قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ قال أهل العلم: العرش معناه في اللغة سرير الملك، أو سرير الملِك، المعنى واحد.

والمراد بالعرش في هذه الآيات عرش الرحمن، وهو سرير مخلوق، وهو أعلى المخلوقات وأعظُمها، ولا يَقْدُرُ قدره إلا الله، ولا يحيط العباد بعظمة هذا العرش، وقد وصف الله العرش بأنه: عظيم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [النمل:٢٦]، وكريم ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦]، ومجيد ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [البروج:١٥] على قراءة الجر.

وفي هذه الآيات التي ساقها الـمُصَنِّف رحمه الله أخبر الله فيها عن استوائه على العرش، ومعناه كما جاء ذلك عن السلف: علا، وارتفع، واستقر، وصعد.

قال ابن القيم رحمه الله:

فَلَهُــمْ عِبَــارَاتٌ عَلَيْهَــا أَرْبَــعٌ قَــدْ حُصِّــلَتْ للفَــارِسِ الطَّعَّــانِ

وَهي اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ ارْ تَفَعَ الَّذي مَا فِيه مِنْ نُكْرَانِ

وَكَذَاكَ قَدْ صَعَدَ الَّذِي هَوَ رَابِع ....[1]

واستوى سبحانه على العرش استواءً يليق به، ويخصه، لا يشبه استواء المخلوق[2].

تضمنت هذه الآيات إثبات الاستواء لله وهذه المسألة من مسائل الأصول الثابتة عند أهل السنة.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «هي من أعظم الأصول التي باين بها أهل السنة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فما في هذه الآيات من ذكر علو الله واسمه العلي الأعلى و صعود الأشياء إليه وعروجها ونزولها منه يدل على العلو»[3].

✓ماذا يقول المبتدعة عن هذه الآيات؟

قالوا الاستواء بمعنى الاستيلاء.

قال شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله في الرد على نفاة هذه الصفة: «تفسير الاستواء بالاستيلاء فهو باطل من وجوه كثيرة، منها: أنه يتضمن أن الله جل وعلا كان مغلوبًا على عرشه ثم غلب وهذا باطل؛ لأنه تعالى لم يزل قاهرًا لجميع خلقه مستويًا على العرش مستوليًا عليه فما دونه».

(١) نونية ابن القيم ص (٨٧).

(٢) ينظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية للشيخ البراك ص (١٠٣،١٠٤).

(٣) ينظر تعليقات ابن باز على التنبيهات اللطيفة ص (٤٤،٤٥).

....

وأما بيت الأخطل الذي يستدلون به على أن معنى استوى استولى فلا حجة فيه، والبيت هو:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ   مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أو دَمٍ مِهْرَاقِ

ثم قال: لأن استعمال استوى بمعنى استولى غير معروف في لغة العرب ولأن ذلك لو وجد في اللغة لم يجز استعماله في حق الله، وأما المخلوق فيكون غالبًا ومغلوبًا»[1].

وخلاصة رد الشيخ ابن باز رحمه الله عليهم من وجهين:

١- أن هذا التفسير لا حظ له في اللغة.

٢- أنه لو وجد في اللغة فلا يليق استعماله في حق الله.

«**وهل المخلوق يوصف بالاستواء على غيره؟**

الجواب: نعم. ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ [الزُّخرُف:١٣]، ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون:٢٨]، ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾[هود:٤٤]، وليس الاستواء كالاستواء؛ فاستواء الله على عرشه ليس كاستواء المخلوق، بل استواء يخصه ويليق به ويناسبه، ولا يعلم العباد كُنْهَهُ، فيجب أن يُثْبَت ذلك لله تعالى مع نفي مماثلته لصفة المخلوق، ونفي العلم بالكيفية، لكن الاستواء معناه معلوم كما قال الأئمة، قال الإمام مالك لما قال له رجل: كيف استوى، قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[2].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢/ ١٣٨، ٣/ ٦٢) بتصرف.

(٢) ينظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية للشيخ البراك ص (١٠٤).



وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران:٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٨]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦، ٣٧]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦،١٧].

ثم ذكر الـمُصَنِّف ﷺ عددًا من الآيات الواردة في علو الله تعالى، والمشتملة على إثبات عُلُوِّهِ وأنه مستوٍ على عرشه بائن من خلقه.

قوله: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران:٥٥].

ما المراد بالوفاة في هذه الآية؟

اختلف أهل التفسير على أقوال أشهرها ثلاثة:

١- أن المراد بالوفاة النوم.

٢- أن المراد بالوفاة الوفاة الحقيقية أي بالموت وقبض الروح.

٣- أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا ومعنى الآية عند أصحاب هذا القول: «**إني رافعك ثم متوفيك بعد ذلك**».

والقول الأصوب: أن المراد بالوفاة النوم حيث ثبت في القرآن تسمية النوم بالموت وذلك في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢]، فالمراد بالوفاة في هذه الآية النوم.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام:٦٠] وعلى هذا الرأي يكون معنى الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ أن الله ألقى عليه النوم ثم رفعه.

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤]، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة:٤٠]، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩].

والخلاصة من هذه الآيات التي ساقها المُصَنِّف:

إثبات علو الله على خلقه فقد دلت هذه الآيات على ذلك، كما دلت الآيات التي قبلها على إثبات صفة الاستواء، **فهل بين الاستواء والعلو فرق؟**

الجواب من وجهين:

الأول: العلو من الصفات الذاتية أما الاستواء فمن الصفات الفعلية، فالعلو من صفاته اللازمة والاستواء فعل من أفعاله سبحانه وتعالى.

الثاني: العلو من الصفات الثابتة في العقل والنقل، أما الاستواء فهو ثابت بالنقل ولا مجال للعقل فيه.

وبالجملة: فكل استواء علو، وليس كل علو استواء؛ فالاستواء أخص من العلو، والعلو أعم من الاستواء.

ثم ذكر المُصَنِّف رحمه الله سبع آيات متعلقة بصفة المعية، ونأخذ منها إثبات المعية وهي من المسائل المجمع عليها عند أهل السنة والجماعة.

والمعية قسمان: ١- عامة. ٢- خاصة.

ذكر الإمام السعدي رحمه الله فائدة جليلة في معرفة الفرق بين المعيتين، فقال: «إذا أردت أن تعرف هل المراد المعية العامة أو الخاصة فانظر إلى سياق الآيات فإن كان المقام مقام تخويف ومحاسبة للعباد على أعمالهم وحث على المراقبة فإنها عامة مثل: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:٧].

ثم قال: وإذا كان المقام مقام لطف وعناية من الله تعالى فإن المعية معية خاصة وهو أغلب إطلاقها في القرآن، مثل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:١٩٤] و﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] و﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠]»(١).

وقد ساق الـمُصَنِّف رحمه الله سبع آيات في المعية، كلها في المعية الخاصة إلا الآية الأولى والثانية.

قال شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله: «المعية صفة من صفات الله وهي قسمان:

معية خاصة: لا يعلم كيفيتها إلا الله كسائر صفاته، وتتضمن الإحاطة والنصرة والتوفيق والحماية من المهالك.

ومعية عامة: تتضمن علم الرب بأحوال عباده، واطلاعه على جميع أحوالهم وتصرفاتهم الظاهرة والباطنة، ولا يلزم منها الاختلاط والامتزاج؛ لأنه سبحانه لا يقاس بخلقه»(٢).

---

(١) التنبيهات اللطيفة ص (٤٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١٦/ ٣٤٦، ٣٤٧).

....

✓وهل المعية حقيقية أو هي كناية على علم الله وسمعه وقدرته؟

المعنى الذي فهمه السلف وأجمعوا عليه ونص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية(١) وتلميذه ابن القيم(٢) وابن عثيمين(٣) وغيرهم: هو أن الله معنا حقيقة، كما هو مستوٍ على عرشه حقيقةً. وقالوا: لفظة «مَعَ» تأتي في اللغة لمطلق المقارنة والمصاحبة، ويختلف معناها باختلاف المقتضى. وقالوا: هنالك فرقٌ بين معنى المعية، وبين مقتضى المعية. فلو قال قائلٌ: «**محمدٌ معي الآن في البيت**»، فهذه المعية حقيقية، والمعنى أن محمدًا معه في البيت بذاته، ولو قال: «**أنا مع الإمام أحمد في عدم قوله بخلق القرآن**»، فهذه معيةٌ حقيقية، والمعنى أنه يوافقه في الاعتقاد والرأي، ولو قلنا: «الله معنا»، فهذه معيةٌ «**في العلم والسمع والبصر**»، ونحو ذلك، ولهذا ما قاله شيخ الإسلام وتلميذه وتبعهما عليه ابن عثيمين - رحم الله الجميع- هو مذهب السلف، لكن كان ما فعله هؤلاء المتأخرون هو الشرح لكلام السلف، والتقريب لألفاظهم، وتقسيم عباراتهم.

ولذلك حينما قال ابن عثيمين: إنَّ معية الله ذاتية حصل بسبب ذلك لبس، حتى تراجع عن قوله، مع أنه قصد معية العلم، ولكن عبر عنها بعبارةٍ فيها شيءٌ من الإشكال. ورجوعه ﵀ دليل علمه وفضله، وسيأتي الكلام على ذلك.

ومن هنا نعلم أَنَّ السلف رحمهم الله مجمعون على إثبات المعية لله تعالى معية حقيقية.

---

(١) ينظر: الفتوى الحموية ص (٥٢٠-٥٢٣)، ومنهاج السنة النبوية (٨/ ٣٧٢-٣٧٧).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٦٥)، وعدة الصابرين ص (٤٥).

(٣) القواعد المثلى ص (٦٠).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢] ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٦]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥]، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣]، ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء:١٠]، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥]، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح:١٥]، ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف:٢٧]، ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل:٧٦]، ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام:٩٢]، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر:٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠١،١٠٢، ١٠٣].

○**قوله:** «وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ...» بعد الكلام عن المعية ذكر المصنِّف رحمه الله الآيات التي تضمنت إثبات صفة الكلام لله وأن القرآن كلامه منزل غير مخلوق.

وهذه المسألة انقسم فيها الناس إلى ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: من جعل كلامه سبحانه مخلوقًا منفصلًا عنه، وأصحاب هذا القول قالوا: معنى أن الله تكلم بالقرآن يعني خلق آيات القرآن؛ ولهذا قالوا: «القرآن مخلوق وليس بمُنَزَّل» وهؤلاء هم المعتزلة.

المذهب الثاني: من جعل القرآن لازمًا لذاته أزلًا وأبدًا لا يتعلق بمشيئته وهؤلاء نفوا عنه الحرف والصوت وبهذا قال الكُلَّابية والأشاعرة.

المذهب الثالث: أهل السنة والجماعة قالوا: «القرآن منزل غير مخلوق والله سبحانه لا يزال متكلمًا إذا شاء، والكلام صفة قائمة بذاته».

✓ما الفرق بين مذهب أهل السنة ومذهب الكُلابية والأشاعرة؟

الجواب من وجهين:

١) الكلابية والأشاعرة خالفوا المعتزلة بإثبات الكلام لله، وخالفوا أهل السنة بنفي الحروف والصوت، وأهل السنة يثبتون الحروف والصوت لله كما جاء في حديث أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ: «**يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ**» وفيه: «**فَيُنَادَى بِصَوْتٍ**»[1].

٢) هناك فرق آخر وهو أن الكلابية والمعتزلة يثبتون صفة الكلام أزلًا وأبدًا باعتباره صفة ذاتية، ولا يثبتونه صفة فعلية، وأما أهل السنة فيثبتون هذا وهذا، فيقولون: صفة الكلام باعتبار أصلها هي صفة ذاتية لا تنفك عن ذات الله، وباعتبار آحاد الكلام هي متعلقة بالمشيئة، وعليه فالكلابية والأشاعرة يقولون ليس الكلام متعلقًا بالمشيئة بل هو لازم لذاته فقط، والصواب مذهب أهل السنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ١٤١) رقم (٧٤٨٣).

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢،٢٣]، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق:٣٥].

والخلاصة: في صفة الكلام أن الله يتكلم وينادي بصوت فنادى موسى بصوت ونادى آدم بصوت ويتكلم بالوحي بصوت.

وهنا قيد مهم: وهو أن الحروف والأصوات التي يتكلم الله بها صفة له غير مخلوقة ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم.

ونخلص في صفة الكلام إلى ما يلي:

١) إثبات صفة الكلام لله تعالى.

٢) أنه يتكلم بصوت وحروف لكن لا تشبه حروف وأصوات المخلوقين.

٣) أن صفة الكلام صفة ذاتية باعتبار أصلها، فعلية متعلقة بالمشيئة باعتبار آحاد الكلام.

ثم ساق الـمُصَنِّف رحمه الله الآيات الدالة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة.

وقد خالف في هذه المسألة: الجهمية، والمعتزلة، والإباضية.

فقالوا: لا نثبت رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وهذا النفي مبني على نفي آخر وهو نفي الجهة عن الله تعالى، فقالوا ما دامت الجهة مستحيلة وهي شرط في الرؤية، فالرؤية مستحيلة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] وبقوله لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣] و(لن) عندهم للتأبيد، هذا هو مذهب المعتزلة والجهمية ومن وافقهم.

....

أما الأشاعرة فإنهم ينفون الجهة ويوافقون المعتزلة في ذلك لكنهم يثبتون الرؤية، وعلى هذا وافقوا المعتزلة في المقدمة وخالفوهم في النتيجة، ولذلك حاروا في هذه المسألة حينما تابعوا المعتزلة في هذه المقدمة فاضطربوا اضطرابًا بينًا، منهم من قال يرونه من جميع الجهات، ومنهم من أثبت الرؤية وقال رؤية بصيرة لا بصر، وقال هؤلاء إن المقصود زيادة الانكشاف والتجلي حتى كأنها رأي عين.

أما أهل السنة والجماعة فقد عصمهم الله من هذه الافتراضات، فهم يثبتون الرؤية لله تعالى من غير ولوج في التفاصيل التي خاض فيها المعتزلة والأشاعرة.

سُئِلَ الإمام مالك عن هذه الآية: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]. فقال: «لما حجب أعداءه فلم يروه، تجلى لأوليائه حتى رأوه»[(١)].

وقال الشافعي رحمه الله: «في الآية دلالة على أن أولياء الله يرونه عيانًا»[(٢)].

وقد سبق معنا في شرح الحائية قول ابن أبي داود:

وَقُـلْ يَـتَجَلَّى الله لِلْخَلْـقِ جَهْـرَةً
كَـمَا الْبَـدْرُ لاَ يَخْفَـى وَرَبُّـكَ أَوْضَـحُ

وَقَدْ يُنْكِرُ الجهْمِيُّ هَـذَا وَعِنْـدَنَا
بِمِصْدَاقِ مَـا قُلْنَـا حَـدِيْثٌ مُصَـرِّحُ

---

(١) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد بلفظ: «لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾».

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٧)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ٨٧).



رَوَاهُ جَرِيــرٌ عَــنْ مَقَــالِ مُحَمَّــدٍ
فَقُلْ مِثْلَ مَـا قَـدْ قَـالَ في ذَاكَ تـَنْجَحُ

قال ابن القيم رحمه الله: «والناس في إثبات الرؤية وعدمها طرفان ووسط: فقوم غلوا في إثباتها حتى أثبتوها في الدنيا والآخرة وهم الصوفية وأحزابهم. وقوم نفوها في الدنيا والآخرة وهم الجهمية والمعتزلة. والوسط هم أهل السنة الذين أثبتوها في الآخرة حسبما تواترت به الأدلة».

وقال أيضًا في نونيته:

وَيَرَوْنَـهُ سُـبْحَانَهُ مِـنْ فَـوْقِهِمْ ... نَظَرَ العِيَانِ كَما يُرَى القَمَرَانِ
هَـذَا تَـوَاتَرَ عَـنْ رَسُـولِ الله لم ... يَنْكِـرْهُ إِلَّا فَاسِـدُ الإِيـمَانِ
وَأَتَـى بِـهِ القُـرْآنُ تَصْـرِيحًا وَتَعْـ ... ـرِيضًـا هُمَـا بِسِـيَاقِهِ نَوْعَـانِ
هِي الزِّيَادَةُ قَـدْ أَتَـتْ فِي يُـونُسَ ... تَفْسِيرُ مَـنْ قَـدْ جَـاءَ بِـالْقُرْآنِ[1]

والتي في سورة يونس هي قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] فقد فسرها النبي بالرؤية كما ثبت ذلك في عدة أحاديث[2].

---

(١) الكافية الشافية ص (٣٤١).

(٢) جاء ذلك في صحيح مسلم (١/ ١٦٣) رقم (١٩١٧) من حديث صهيب بلفظ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ، فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾». وفي السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٠٦) بلفظ: «فَيَكْشِفُ الله عَنْهُمُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَى الله تَعَالَى فَمَا شَيْءٌ أُعْطُوهُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَهِيَ الزِّيَادَةُ».

وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ الله كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَـهُ طَرِيقُ الحقِّ...

○**قوله**: «**وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ الله كَثِيرٌ**» أي باب الأسماء والصفات، ولم يستوعب الـمُصَنِّف ﵀ الآيات التي جاءت في الأسماء والصفات إلا في باب واحد وهو باب الاستواء أما باقي الأبواب فذكر بعض آياتها.

والناظر في الآيات التي سردها الـمُصَنِّف ﵀ في هذا الباب يمكن أن يستنبط عدة قواعد وأصول:

أولها: اتفاق السلف على وجوب الإيمان بجميع الأسماء وما دلت عليه من صفات.

ثانيها: أن هذه الآيات دلت على أن صفات البارئ سبحانه على قسمين:

١- ذاتية لا تنفك عنها الذات، مثل: العلو، والحياة، والسمع، والبصر، ونحو ذلك.

٢- صفات فعلية تتعلق بالمشيئة مثل المجيء، الاستواء، الضحك، الغضب، العجب، النزول، الفرح ونحو ذلك.

٣- صفات ذاتية فعلية باعتبارين كصفة الكلام فهي صفةٌ ذاتيةٌ باعتبار أصل الكلام، وفعلية باعتبار آحاد الكلام.

ثالثها: إثبات تفرد الرب بكل صفات الكمال وأنه ليس له شريك أو مثيل في شيء منها.

رابعًا: إثبات جميع ما ورد في الكتاب والسنة من الصفات الذاتية والفعلية، والمخالف في هذا الأصل فريقان:

١- المعتزلة فإنهم ينفون جميع الصفات ويثبتون الأسماء.

٢- الجهمية فإنهم ينفون جميع الصفات والأسماء.

✓**لماذا لا نلحق بهم الأشاعرة ونقول إنهم فريق ثالث؟**

الجواب: الأشاعرة وافقوا أهل السنة والجماعة في سبع صفات فقط، يدَّعون أن العقل يثبتها، وهذه الصفات هي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

o**قوله**: «**فَصْلٌ**» هذا الفصل يختص بنصوص السنة الدالة على صفات الله ﷻ، لأن الفصل السابق كان يختص بنصوص القرآن الدالة على الصفات.

o**قوله**: «**ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ** ﷺ» هذا عطف على قوله فيما تقدم: «**وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ...**».

فيكون المراد أنه دخل في ذلك أيضًا ما وصف الرسول ﷺ به ربه في الأحاديث الصحيحة، فكما نثبت من القرآن هذه الصفات أيضًا نثبتها من السنة؛ لأنها هي الأصل الثاني في التشريع.

والسنة اصطلاحًا: ما ثبت من أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته.

والكافة من أهل العلم على أن السنة إذا ثبتت عن الرسول ﷺ بالسند الصحيح فهي بمنزلة القرآن من ناحية التصديق والعمل، وهي مُنْزلة كالقرآن كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء:١١٣]، (والحكمة): السُّنَّة، وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:١٢٩]، أي: السنة، وقوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب:٣٤].

تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ، ....

○**قوله**: «تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ» هذا هو مذهب أهل الحق في السنة النبوية؛ لأنها ملازمة للقرآن مبينة له. ومعنى تفسر القرآن: أي توضحه وتبين المراد منه والله يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] الذكر هو القرآن، ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ أي لتوضح لهم.

ولهذا نلاحظ أن الأحكام في القرآن غالبًا تأتي مجملة، ويأتي تفصيلها في السنة فمثلًا الصلاة جاء الأمر في القرآن بإقامتها، أمرًا مجملًا، جاء تفصيلها من قوله وفعله ﷺ، وهكذا في بقية العبادات.

وهناك أمثلة تدل على أنَّ السُّنَّة تفسر القرآن، منها:

قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] فسر النبي ﷺ هذه الزيادة بأنها الرؤية كما ثبت في مسلم من حديث صهيب(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] القوة في الآية فسرها النبي ﷺ بقوله: «أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»(٢)، والأمثلة على ذلك كثيرة.

أما أهل البدع فهم في هذا الباب على فريقين:

الفريق الأول: من لا يتورع عن إنكار السنة ويصرح بذلك كالمعتزلة والفلاسفة الذين ردوا السنة مطلقًا.

الفريق الثاني: من يثبت السنة ويعتقد بصحة النقل فيها ولكن يحرفها ويشتغل بتأويل الصفات التي أثبتتها السنة، كالأشاعرة فإنهم لم يردوا السنة كما فعل المعتزلة بل أثبتوها لكن أولوها.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٦٣) رقم (١٨١).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٢) رقم (١٩١٧) من حديث عقبة بن عامر ﷺ.



وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ، فَمِنْ ذَلِكَ: مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

○**قوله**: «**وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ**» أي كما وجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، كذلك يجب الإيمان بكل ما وصفه به أعلم الخلق به ﷺ.

ثم بدأ الـمُصَنِّف بذكر جملة من الأحاديث التي تدل على صفات الله ابتدأها بحديث: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**» هذا الحديث متفق عليه[1].

والكلام عليه من وجهين:

١- صحته من جهة النقل فقد أشار الـمُصَنِّف رحمه الله أنه متفق عليه ونقل الذهبي في كتابه «العلو للعلي الغفار» أن أحاديث النزول أحاديث متواترة[2].

٢- ما أفاده هذا الحديث من إثبات صفة النزول لله جل وعز، وهذا ثابت في كل ليلة كما نأخذ ذلك من قوله في الحديث: «**كُلَّ لَيْلَةٍ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٣) رقم (١١٤٥)، ومسلم (١/ ٥٢١) رقم (٧٥٨).
(٢) العلو للعلي الغفار ص (٩١).

وَقَوْلُهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لله أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ المؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

✓ **لو قال قائل كيف ينزل؟**

أجيب بأننا نثبت النزول، ونثبت الكيفية لكن ننفي العلم بها، فبالتالي يكون السؤال عنها بدعة، فيقال في هذه الصفة كما يقال في بقية الصفات: أنه نزول يليق بجلاله وعظمته.

وفي هذا الحديث رد على أربع طوائف من المبتدعة:

١- رد على الجهمية، والمعتزلة: ووجه الرد قوله: «**يَنْزِلُ**» فالنبي ﷺ أثبت النزول لله عز وجل وهو نزول يليق بجلال الله، خلافًا للجهمية والمعتزلة الذين نفوا هذه الصفة.

٢- رد على الجبرية، من قوله: «**مَنْ يَدْعُونِي... مَنْ يَسْأَلُنِي... مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي...**» ووجه الرد من هذا الحديث أنه جعل للعبد اختيارًا و مشيئة وهم يقولون: إن العبد مجبور.

٣- رد على الحلولية: حيث جاء في الحديث: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**» فدل ذلك على أن الله في العلو، وهذا رد عليهم لأنهم يقولون إنه حال في كل مكان.

○**قوله**: «**لله أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ...**» هذا الحديث متفق عليه[١]، وفيه إثبات صفة الفرح لله جل وعز، والكلام في هذه الصفة كالكلام في بقية الصفات وهو إثباتها على ما يليق بجلاله وعظمته، وهي صفة فعلية؛ لأنها متعلقة بالمشيئة.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٦٨) رقم (٦٣٠٩)، ومسلم (٤/ ٢١٠٤) رقم (٢٧٤٧) من حديث أنس رضي الله عنه.



وَقَوْلُهُ: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الجنَّةَ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

✓بما أوَّل النُّفَاة صفة الفرح؟

قال بعضهم: كناية عن رِضَى الله، وقال البعض الآخر: كناية عن الثواب، فهم مختلفون في تأويل هذه الصفة، فالمعتزلة لهم تأويل، والأشاعرة لهم تأويل، وهكذا بقية النفاة.

والرد عليهم بالقاعدة الشرعية العامة وهي: «أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات» فصفات الله ليست كصفات المخلوقين، كما أن ذاته ليست كذوات المخلوقين.

○**قوله**: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ...**» متفق عليه من حديث أبي هريرة(١).

ونثبت من هذا الحديث صفة الضحك وهو على ما يليق بجلال الله وعظمته فهو ليس كضحك المخلوقين.

أما النفاة فقد فسروا الضحك بأنه كناية عن الرضى أو القبول، قالوا: ولا نثبت من ذلك ضحكًا حقيقيًا لله.

وصفة الضحك جاءت فيها أحاديث أخرى منها ما رواه ابن ماجه من طريق وكيع بن عدس عن أبي رزين العقيلي أن رجلًا سأل النبي ﷺ قال هل يضحك ربنا؟ فقال: النبي ﷺ: «**نَعَمْ**» فقال الرجل: لن نعدم من رب يضحك خيرا(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٤) رقم (٢٨٢٦)، ومسلم (٣/ ١٥٠٤) رقم (١٨٩٠).

(٢) سنن ابن ماجه (١/ ٦٤) رقم (١٨١).

وَقَوْلُهُ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ آزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»، حَدِيثٌ حَسَنٌ ....

ووكيع بن عدس مجهول؛ فلذلك ضعف بعض أهل العلم هذا الحديث بسببه ومن طريق وكيع هذا جاء الحديث المشهور على الألسنة: «**الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ**»[1] ولذلك ضعف هذا الحديث جماعة من أهل العلم لجهالة حال وكيع إلا أن حديثه يتقوى بما يلي:

١- أنه من التابعين الذين جرى الأئمة على احتمال أحاديثهم، وتلقيها بحسن الظن إذا لم تخالف شيئًا من الأصول، وذلك لتقادُم عهدهم وتعذر الخبرة الباطنة بأحوالهم .

٢- قبول جمع من الأئمة لحديثه، كالترمذي، والحاكم، والذهبي، وابن دقيق العيد، وابن تيمية، وابن حجر، وغيرهم، وهذا من التعديل الفعلي الذي ينزل منزلة التوثيق[2].

○**قوله**: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ آزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**» هذا الحديث أخرجه أحمد وابن ماجه عن أبي رزين العقيلي[3] وله عدة روايات.

وقد دل الحديث على إثبات صفة العَجَب لله تعالى وهذا من آثار رحمته وكماله، وعجبه سبحانه ليس كعجب المخلوقين؛ لأنه ليس كمثله شيء.

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب رقم (٥٠٢٠)، وابن ماجه في تعبير الرؤيا رقم (٣٩١٤).

(١) ولهذا أمثلة كثيرة منها قول ابن القطان عن زينب بنت كعب : «وزينب كذلك ثقة، وفي تصحيح الترمذي إياه – يعني حديثها – توثيقها» ينظر: الوهم والإيهام لابن القطان (٥/ ٣٩٥)، وقد نقل الزيلعي في نصب الراية (٣/ ٢٦٤) قول ابن القطان هذا وأقره عليه.

(٣) سنن ابن ماجه (١/ ٦٤) رقم (١٨١) ومسند الإمام أحمد (٤/ ١١) رقم (١٦٢٣٢).

والحديث فيه إشارة أيضًا إلى أنه إذا تأخر الغيث عن العباد مع فقرهم يستولي عليهم اليأس والقنوط ويقصر نظرهم على الأسباب الظاهرة فيستبعدون فرج الله ورحمته، وهذه الحال من العباد محل عجب من الله تعالى فيعجب الله منهم كيف يقنطون ويصابون باليأس مع أن رحمته وسعت كل شيء وهو يقول عن نفسه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦].

ونستفيد من الحديث أيضًا: أنه يحرم على المؤمن القنوط واليأس ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧] والآية فيها إخبار عن صفة من صفات الكافرين وهي القنوط واليأس، أما المؤمن فإن ثقته بالله لا تتبدل ولا تزيدها الابتلاءات والمحن إلا قوة ورسوخًا.

قال الناظم:

إذا اشتملتْ على اليأس القلوبُ ... وَضَاقَ بِمَا بِـهِ الصَّـدْرُ الرَّحِيـبُ

وأوطنــت المكــارهُ واســتقرت ... وَأَرْسَــتْ فِي أَمَاكِنِهَـا الخُطُـوبُ

ولم ترَ لانكشاف الضُّــرِّ وجهًـا ... ولا أغنـــى بحيلتـــه الأريـــبُ

أتـاكَ عـلى قنـوطٍ منـك غـوثُ ... يمـنُّ بـه اللطيـفُ المسـتجيبُ

و كـــلُّ الحادثـــاتِ إذا تناهـــتْ ... فَمَوْصُــولٌ بِهَــا فَــرَجٌ قَرِيَــبُ

والقنوط: أشد اليأس.

○ **وقوله**: «وَقُرْبِ غِيَرِهِ» الواو هنا بمعنى (مع) أي: (مع قـرب غِـيَرِهِ)، والغِيَر - بكسر الغين وفتح الياء - بمعنى التغيير؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي بيده تدبير الأمور وتغييرها، وهو الذي يقول للشيء كن فيكون.

وَقَوْلُهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ....

وهذا الحديث اشتمل على ست صفات من صفات الله تعالى، وهي:

١- العَجب: من قوله: «**عَجِبَ رَبُّنَا**».

٢- الضحك: من قوله: «**فَيَظَلُّ يَضْحَكُ**».

٣- النظر: من قوله: «**يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ**».

٤- العلم: من قوله: «**يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**».

٥- القدرة: من قوله: «**قُرْبِ غِيَرِهِ**» بكسر الغين، والتغيير دليل القدرة، فمن صفاته سبحانه القدرة، ومن أسمائه القادر.

٦- الرحمة؛ لأن فرجه لعباده دليل على رحمته بهم.

○**قوله**: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟...**» الحديث هذا الحديث فيه إثبات صفة (الرِّجل) أو (القَدَم) لله سبحانه، فنثبت هذه الصفة لله تعالى وأنها تجري مجرى بقية الصفات على ما يليق بجلاله وعظمته.

والحديث فيه فوائد كثيرة من أبرزها:

١) ما أراده الـمُصَنِّف هنا إثبات صفة القدم لله على ما يليق به سبحانه.

٢) فيه إثبات القول من الجماد حيث تقول أي النار: «**قط، قط**».

وهذا دليل على قدرة الله تعالى وهو الذي أنطق كل شيء، وقد ثبت في نصوص أخرى إثبات إحساس الجمادات لكن لا ندركه ولا نشاهده، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٧٤].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[الحشر:٢١].



وَقَوْلُهُ: «يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ» ....

✓**بماذا أجاب أهل التأويل عن حديث الباب: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا...»؟**

قالوا: المراد بالرجل في الحديث جماعة من الناس أو القوم من الناس كما يقال في اللغة: «رجل جراد» أي جماعة من الناس، لكن في الحديث رد على هذا التأويل من وجهين:

الأول: أنه قال في الحديث: «**حَتَّى يَضَعَ**» ولم يقل: (حتى يلقي) فلا يستقيم أن يقال: إن المعنى: فيضع رب العزة قومًا من الناس.

الثاني: أنه لا يصح تفسير القدم بالقوم لا حقيقة ولا مجازًا.

وصفة (القدم) صفة ذاتية كالوجه واليدين ونحو ذلك.

○قوله: « **يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ... الحديث**» في الحديث إثبات صفة النداء والكلام والصوت لله تعالى، والنداء نداء حقيقة بصوت، قوله: «**فَيُنَادِي**» أي الله تعالى، «**بِصَوْتٍ**».

سؤال: هل يمكن أن يكون نداء بلا صوت؟

الجواب: لا بد للنداء أن يكون بصوت، وذكر الصوت هنا من باب التأكيد والأصل أن ثبوت الصوت من إثبات النداء؛ لأن النداء لا يكون إلا بصوت مرتفع.

والخلاصة: إثبات صفة القول والنداء لله تعالى وأنه بصوت مسموع.

○**قوله**: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**» فيه إثبات تكليمه سبحانه لجميع عباده بلا واسطة لقوله: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ**».

وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ المرِيضِ: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ؛ فَيَبْرَأَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

وتكليمه سبحانه وتعالى لعباده على نوعين:

الأول: تكليم بلا واسطة كما في هذا الحديث والتكليم يكون للمحاسبة ويكون مع البَر والفاجر.

وكيف نجمع بين الحديث حيث ثبت فيه تكليم الله لكل الخلق، وبين قول الله عن الكفار: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧٧]؟.

الجواب: في هذا الحديث التكليم للمحاسبة، ونفي التكليم في الآية للإهانة والتحقير.

الثاني: بواسطة: وهو كلامه لرسله عن طريق الملائكة أو جبريل.

○**قوله**: «**رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ...**» هذا الحديث من رواية أبي الدرداء، وهو صريح في إثبات صفة العلو لله تعالى، وذلك من قوله: «**الله الَّذِي فِي السَّمَاءِ**»، والعلو صفة ذاتية لا تنفك عنه مطلقًا.

ويدل الحديث أيضًا على صفة الرحمة من قوله: «**اجْعَلْ رَحْمَتَكَ**».

ونأخذ من الحديث أيضًا مشروعية التوسل إلى الله تعالى بالثناء عليه بربوبيته وقدسيته وبقية صفاته وهذا من أنواع التوسل المشروع، وسبق الكلام عليها في شرح لامية شيخ الإسلام.



وَقَوْلُهُ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»، حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَقَوْلُهُ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، والله فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، «وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: أَيْنَ اللهُ؟، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله. قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

○**قوله**: «**أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**» ويصح: «**وأنا أمينٌ في السماء**»، أمينٌ بالتنوين أي موصوف بهذه الصفة في السماء أي صفة الأمانة، والنبي ﷺ موصوف بذلك في السماء، والمعنى على الوجه الثاني: «**أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**» يعني أمين الله تعالى على وحيه.

والصفة المثبتة من هذا الحديث صفة العلو من قوله: «**مَنْ فِي السَّمَاءِ**».

وقوله: «**وَالْعَرْشُ فَوْقَ المْاءِ، والله فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**» رواه أبو داود وغيره من حديث ابن عباس، وهذا الحديث يسمى بحديث الأوعال، وكأن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرى تحسينه من خلال الشواهد الصحيحة التي تشهد لبعض متنه، ولكن الحديث فيه ضعف، وقد أُعِلَّ بعدة علل:

الأولى: تفرد سماك برواية الحديث، وسماك بن حرب لا يحتج به إذا انفرد، قال الإمام أحمد: «مضطرب الحديث»، وقال الدارقطني: «سيء الحفظ»[١].

والثانية: أن عبد الله بن عميرة مجهول[٢].

والثالثة: عدم ثبوت سماع ابن عميرة من الأحنف، قال البخاري: «ولا نعلم له سماعًا من الأحنف»[٣].

---

(١) ينظر: الجرح والتعديل (٤/ ٢٧٩)، وعلل الدارقطني (١٣/ ١٨٤).

(٢) ينظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٤٦٩)، ولسان الميزان (٩/ ٣٤٣).

(٣) التاريخ الكبير (٥/ ١٥٩).

....

والرابعة: الوقف، قال الترمذي: «وروى شريك، عن سماك، بعض هذا الحديث ووقفه ولم يرفعه»[1]. ورواية شريك عن سماك أرجح من رواية غيره في هذا الحديث.

والخامسة: أن متن الحديث فيه نكارة في سياقه ويظهر ذلك من وجهين:

١- تشبيه الملائكة بالتيوس، والأوعال جمع وعل وهو تيس الجبال.

٢- أكثر الأصول تذكر الأظلاف مؤنثة وهو معنى منكر في حق الملائكة.

وفي الحديث الجمع بين الإيمان بعلوه على عرشه فوق مخلوقاته وإحاطته بجميع المخلوقات فهو سبحانه وتعالى مع علوه يعلم ما في نفس العبد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[ق:١٦].

«**وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: أَيْنَ اللهُ؟، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ...**» هذا الحديث رواه مسلم من طرق متعددة[2].

ويستفاد من الحديث ما يلي:

أولًا: جواز الاستفهام عن الله بأين، لقوله للجارية: «**أين الله؟**».

قال الناظم:

وَقَدْ جَاءَ لَفْظُ الأَيْنِ مِنْ قَوْلِ صَادِقٍ ... رَسُولِ إِلَهِ الْعَالمين مُحَمَّدِ

كَمَا قَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ... كَذَاكَ أَبو دَاودَ والنَّسَئِي قَدِ

---

(١) جامع الترمذي (٥/ ٤٢٥).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٨١) رقم (٥٣٧).



وَقَوْلُهُ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «واستفهام النبي بـ (أين) يدل على أن لله مكانًا»[(١)]، لكن لا يخفى أن الله لا يحيط به شيء سبحانه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠].

ثانيًا: إثبات صفة العلو لله تعالى؛ لإقراره ﷺ قولها: «**فِي السَّمَاءِ**» والسماء إذا أطلقت في اللغة: المراد بها العلو.

ثالثًا: تضمن هذا الحديث شهادة الرسول ﷺ بالإيمان للجارية حيث اعترفت بعلو الله على خلقه، وذلك بعدما سألها النبي وقال: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قالت: «**فِي السَّمَاءِ**»، وفي هذا دليل على أن وصف الله بالعلو من أعظم أوصاف الباري جل وعز، حيث إن النبي ﷺ خصه بالسؤال دون بقية الأوصاف، وهذا دليل على قبح رأي الحلولية.

○**قوله**: «**أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ**» هذا الحديث رواه الطبراني من حديث عبادة[(٢)] وهو ضعيف[(٣)].

ونثبت من الحديث على فرض صحته صفة المعية وهذه المعية عامة من قوله: «**مَعَكَ**» لكن لا يعني ذلك أنه حال في كل مكان كما قالت الحلولية.

وقوله: «**أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ**» نستفيد منه أن الإيمان يتفاوت، وفي هذا رد على المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان معصية.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٨/ ٢٩٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٤).

(٣) قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن عروة بن رويم إلا محمد بن مهاجر، تفرد به: عثمان بن كثير». وقال ابن أبو نعيم: «غريب من حديث عروة لم نكتبه إلا من حديث محمد بن مهاجر».

وَقَوْلُهُ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

○**قوله: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ...»** هذا الحديث متفق عليه[١]، ونستفيد منه إثبات أن الله قبل وجه المصلي حين يصلي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الحموية: «إن الحديث حق على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قِبَلَ وجه المصلي»[٢].

وعلى هذا هل بين إثبات هذا وإثبات العلو تعارض؟

الجواب: لا تعارض بينهما، فإن الله ليس كمثله شيء، فهو موصوف سبحانه بأنه قِبَل وجه المصلي وموصوف بالعلو، فلا منافاة بينهما، وقد مثل شيخ الإسلام وابن عثيمين بمثال يقرب ذلك، وهو أن الإنسان قد يتوجه جهة الشمس وتكون قِبَل وجهه وهي عالية في مكانها، فيصح أن يقال: إن الشمس قبل وجهه وهي في مكان عالٍ، والله أجل وأعظم وليس كمثله شيء[٣].

✓**هل نستفيد من الحديث جواز البصق حال الصلاة؟**

ثبت النهي عن البصق قِبَل الوجه وجوازه عن اليسار وتحت القدمين، كما جاء ذلك في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَبْصُقْ أَمَامَهُ فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ فَيَدْفِنُهَا**»[٤].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٩٠) رقم (٤٠٦)، وصحيح مسلم (١/ ٣٨٨) رقم (٥٤٧).

(٢) ينظر: الحموية ضمن مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٧).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٧)، والقواعد المثلى ص (٩٥).

(٤) صحيح البخاري (١/ ٩١) رقم (٤١٦)، وصحيح مسلم (١/ ٣٨٩) رقم (٥٥٠).



وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ.

✓**هل يجوز هذا في المسجد؟**

الجواب: فيه تفصيل، هذا الحديث أجاز البصاق وهناك حديث آخر منع منه، وهو ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك: «**الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا**»(١).

والجمع بين الحديثين بأن يقال: يجوز خارج المسجد وأما في داخله فلا يجوز.

فعلى هذا يكون الجواز في حديث الباب إذا كان ذلك خارج المسجد.

أما إذا كان في المسجد ومعه جماعة؟ فيكون تحت قدمه فقط، ويدفنها بعد ذلك، ولا يبصق عن يمينه ولا عن يساره كي لا يؤذي غيره.

وهنا مسألةٌ ينبغي التنبيه عليها: وهي أَنَّ المساجد كانت في السابق مفروشةٌ بالرمل والتراب، وأما الآن فهي مفروشةٌ بالمفارش و(الموكيت)؛ فلا يجوز البصق فيها سواءً كان ظاهرًا أم تحت الفرش، فضلًا عن أن ذلك ينافي حرمة المسجد، ويدعو إلى تقزز العامة منه.

○**قوله**: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ...» الحديث فيه إثبات جملة من الصفات وهي:

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٩١) رقم (٤١٥)، وصحيح مسلم (١/ ٣٩٠) رقم (٥٥٢).

وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ» رِوَايَةُ مُسْلِم. وَقَوْلُهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١- صفة العلو، من قوله: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**»؛ ولأجلها ساق الـمُصَنِّف هذا الحديث.

٢- صفة الأولية، من قوله: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ**».

٣- الآخرية، من قوله: «**فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**».

٤- الإحاطة الزمانية، من قوله: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ**»، وقوله: «**أَنْتَ الْآخِرُ**»؛ لأن إثبات الأولية، والآخرية متضمنة للإحاطة الزمانية.

٥- الظاهرية، من قوله: «**أَنْتَ الظَّاهِرُ**».

٦- الباطنية، من قوله: «**أَنْتَ الْبَاطِنُ**».

٧- الإحاطة المكانية، من قوله: «**أَنْتَ الظَّاهِرُ**»، وقوله: «**أَنْتَ الْبَاطِنُ**»؛ والظاهرية والباطنية متضمنة للإحاطة المكانية.

٨- الربوبية من قوله: «**رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ**».

٩- تمام القدرة من قوله: «**فَالِقَ الحبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ**» وقوله: «**اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ**».

١٠- كمال رحمته، من قوله: «**مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ**»؛ لأن إنزال الكتب دليل على رحمته سبحانه وتعالى بعباده.

....

○**وقوله**: «**لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا...**» الصفة المثبتة من الحديث صفة القرب لله تعالى ولأجلها ساق الـمُصَنِّف الحديث، والله تعالى قريب من عباده وليس بحاجة إلى أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء فإنه يعلم السر والجهر.

وصفة القرب تستلزم صفتي الإحاطة، والعلم.

○**وقوله**: «**أَرْبِعُوا**» أي: ارفقوا بأنفسكم بخفض أصواتكم فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان إذا كان محتاجًا إلى ذلك كمناداة البعيد أو ضعف سمع المدعو؛ ولهذا قال ﷺ: «**فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا**».

ولهذا نص أهل العلم أن من آداب الدعاء خفض الصوت قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] استنبط القرطبي[1] وغيره من أهل العلم من هذه الآية أن رفع الصوت بالدعاء من التعدي؛ لأنه قال في آخر الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾.

✓ما حكم رفع الصوت بالدعاء في قنوت التراويح؟

المشروع في دعاء القنوت الجهر بالصوت بقدر إسماع المأمومين وأما التكلف في الرفع، فهذا غير مشروع بل اعتبره بعض أهل العلم من التعدي في الدعاء، وأما رفع الصوت بتلاوة القرآن فإن كان رياءً أو سبيلًا للرياء فهو ممنوع، وإن كان فيه إيذاء للآخرين فهذا غير مشروع، وأما إذا كان القارئ وحده فله أن يرفع صوته بالقرآن ما شاء.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٢٦).

قوله: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

○**قوله**: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ...**» هذا الحديث متفق عليه من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه[1]، وفيه الإشارة إلى إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وأنهم يتنعمون بالنظر لوجهه جل وعز، ونأخذ من ذلك ما يلي:

١- إثبات علوه على خلقه لأن الحديث صريح في أنهم يرونه من فوقهم.

٢- دل الحديث على أن النظر لوجهه تعالى من النعيم الذي أعطاه الله المؤمنين بل هو أعظم النعيم.

○**قوله**: «**كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**» تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي. فيكون المعنى: أن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة تكون من الظهور والوضوح كرؤية القمر في أَبْيَن وأظهر حالاته وهي ليلة البدر.

○**وقوله**: «**لَا تُضَامُونَ**»، فيه ثلاثة أوجه:

١- (لا تضامّون) بتشديد الميم.

٢- (لا تضامون) بالتخفيف.

٣- (لا تضارون) بالراء.

○**وقوله**: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا**».

✓**ما مناسبتها هنا؟**

الجواب: في هذا إشارة إلى أن من حافظ على هاتين الصلاتين نال هذا النعيم في الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١١٥) رقم (٥٥٤)، ومسلم (١/ ٤٣٩) رقم (٦٣٣).

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ.

وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل هاتين الصلاتين الفجر والعصر منها: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»[1].

○**قوله**: «**إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ...**»، لما ذكر الـمُصَنِّف بعض الأحاديث الواردة في باب الصفات نَبَّهَ إلى أن الأحاديث الأخرى التي لم يذكرها الـمُصَنِّف في هذا الباب يقال فيها ما يقال في هذه الأحاديث السالفة.

والقاعدة: إثبات الصفات في هذه الأحاديث من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

○**قوله**: «**فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ**» بَيَّنَ رحمه الله أن الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة، ثم ذكر بعض أوصافهم.

○**قوله**: «**بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ**» لا شك أن هذه الأمة هي الوسط وأهل السنة أعظم من يمثل هذا الوسط، ويتبين هذا من عدة أوجه:

١- أنهم وسط في حق الله تعالى خلافًا لليهود الذين وصفوا الله بالنقائص.

٢- أنهم وسط في حق الأنبياء خلافًا لليهود الذين قالوا عزير ابن الله.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٣٠)، ومسلم رقم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المشَبِّهَةِ، وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ الله بَيْنَ الجبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

وخلافًا للنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، وخلافًا لمن قتل الأنبياء الذين قال تعالى عنهم: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[البقرة:٦١].

وهذه الأمة وسط كما أن أهل السنة وسط في هذا الباب، فقالوا عن عيسى: عبد الله ورسوله، لم يطروه ويبالغوا في حقه، ولم يجحفوا في حَقِّهِ، وهذا عين الاعتدال والوسط.

٣- أنهم وسط في الأحكام والعبادات، فالنصارى يتدينون لله بعدم الطهارة فهم لا يتطهرون من الخبث فيبول الواحد منهم على ثوبه ولا يتطهر منه بل يصلي بهذا الثوب الذي أصابته النجاسة.

أما اليهود فعكس ذلك تمامًا فإذا أصابتهم النجاسة ووقعت في الثوب فإنهم يقرضونها بالمقاريض ولا يكفيهم الغسل، أما هذه الأمة فهم وسط في هذا الباب يتطهرون بالماء كما أمر الله بذلك.

○**قوله**: «**فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى... إلخ**».

ذكر الـمُصَنِّف خمسة أصول في وسطية أهل السنة:

الأصل الأول: وسطية أهل السنة في باب الصفات بين أهل التعطيل وأهل التمثيل، وسبق معنا أن أهل التعطيل هم الجهمية والمعتزلة، والـمُصَنِّف خص الجهمية بالذكر هنا؛ لأنهم رؤوس المعطلة، وأول من ابتدع تلك البدعة وغيرهم تبع لهم.

○**قوله**: «**وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المشَبِّهَةِ**» أي: الذين شبهوا الله بخلقه ولكن ما الدافع للتشبيه الذي قالوا به؟

الجواب: يقولون لا نعرف من الصفات إلا ما علمناه وشاهدناه حسًا من صفات المخلوقين، فالمقصود أن أهل السنة والجماعة وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل.

الأصل الثاني: أنهم وسط في أفعال الله تعالى بين الجبرية والقدرية.

الجبرية: قالوا: إن العبد مجبر على أفعاله لا اختيار له.

والقدرية: هم من نفوا القدر وقالوا: إن أفعال العباد مستقلة لهم لا علاقة لها بمشيئة الله تعالى بل إن العبد عندهم له مطلق المشيئة والاختيار.

فهؤلاء طائفتان مختلفتان، وأهل السنة والجماعة وسط بين هؤلاء وهؤلاء: أثبتوا للعبد الاختيار والمشيئة لكنها متعلقة بمشيئة الله تعالى.

وهذه العقيدة بَيَّنَهَا الله تعالى في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠] هذه الآية بينت الحق وأبطلت عقيدة هؤلاء، ففيها رد على الجبرية والقدرية وفيها بيان الحق الذي عليه أهل السنة.

وقد نظم ذلك السفاريني فقال:

أَفْعَالُنَا مَخْلُوقَةٌ لله ... لَكِنَّهَا كَسْبٌ لَنَا يَا لَاهِي

فَكُلُ مَا يَفْعَلُهُ العِبَادُ ... مِنْ طَاعَةٍ أَوْ ضِدِّهَا مُرَادُ

لِرَبِّنَا مِنْ غَيْرِ مَا اضْطِرَارِ ... مِنْهُ لَنَا فَافْهَمْ ولا تُمَارِ

الأصل الثالث: أنهم وسط في باب الوعيد بين المرجئة والوعيدية.

والمرجئة: من أرجى أي أخر، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ﴾ [الأعراف:١١١] وفي قراءة: ﴿ارجئه﴾ أي: أَخِّرْهُ؛ وسموا بهذا الاسم لأحد سببين:

....

أ- أنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، أي أنهم يقولون إذا وجد الإيمان في القلب فهو كافٍ ولا تأثير للأعمال في زيادة الإيمان.

ب- أنهم سموا بذلك لتغليبهم أدلة الرجاء على أدلة الوعيد، وأدلة الرجاء مثل قوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١) وقوله: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٢).

وعكسهم الوعيدية، وهم طائفتان:

١- المعتزلة.

٢- الخوارج.

و الـمُصَنِّف ؒ يقول: «**مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ**»، وهذا يشمل:

١- الخوارج وهم من الوعيدية والقدرية.

٢- والمعتزلة وهم قدرية أيضًا.

✓**وما الفرق بينهما:**

المعتزلة يقولون: إن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين وفي الآخرة خالد مخلد في النار، والخوارج يقولون: صاحب الكبائر في الدنيا كافر وفي الآخرة خالد مخلد في النار.

فهم اختلفوا في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا.

وأهل السنة وسط في هذا الباب بين المرجئة والوعيدية، فيقولون: مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فهو مؤمن ناقص الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١١٣) رقم (٣٢٢٢)، وابن حبان (١/ ٣٩٢) رقم (١٦٩)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٥) رقم (٢٦).

وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ وَالمعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ المرْجِئَةِ وَالجهْمِيَّةِ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالخوَارِجِ ....

الأصل الرابع: أنهم وسط في باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية أي (الخوارج) والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية في الطرف الآخر.

✓**ما المراد بأسماء الإيمان والدين؟**

الجواب: المراد الأسماء التي جاءت في النصوص كتسمية المؤمن، والمسلم، والكافر، والفاسق.

فأهل السنة توسطوا في هذا الباب.

مذهب الحرورية تكفير صاحب الكبيرة يعني أطلقوا عليه لفظ الكفر، بينما المرجئة اعتبروه مؤمنًا كامل الإيمان.

وأهل السنة توسطوا في هذا الباب، وقالوا مرتكب الكبيرة مؤمن لكنه ناقص الإيمان نقص من إيمانه بقدر ما ارتكب من المعصية، فلا ينفون عنه الإيمان كما فعلت الخوارج ولا يقولون إنه كامل الإيمان كما فعلت المرجئة.

الأصل الخامس: أنهم وسط في أصحاب رسول الله بين الرافضة والخوارج.

فالرافضة غلوا في (عَليٍّ) وأوصلوه إلى الألوهية، والخوارج كفروه وكفروا الصحابة.

والمقصود أن أهل السنة وسط بين الرافضة والخوارج فحفظوا لأصحاب الرسول حقهم ولم ينفوا تزكية الله لهم في كتابه.

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

○**قوله**: «**وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ... الخ**» هذا الفصل والفصول التي بعده أكثره مر معنا في شرح الحائية فلا داعي للتكرار.

لكن هناك مسائل مهمة في إثبات العلو وإثبات المعية، ولكن قبل الدخول فيها أسأل: لماذا نص المصَنِّف على هاتين الصفتين في هذا الفصل مع أنهما قد مرا معنا؟

الجواب: لأنه قد يظن ظان أن إثبات صفة العلو يعني عدم إثبات صفة المعية، فأراد المُصَنِّف أن يبيِّن أنه لا تنافي بينهما فالله موصوف بالعلو وهو فوق عرشه، وموصوف بالمعية مع علوه سبحانه، واستدل المصَنِّف بدليل عقلي وهو أن القمر يسير مع المسافر وهو عال في مكانه ومع ذلك يقول هو معنا والله أعلى وأجل.

○**قوله**: «**وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا...**» لما أثبت المصَنِّف رحمه الله صفة المعية خشي أن يتوهم متوهم أنها تقتضي الممازجة فنفى المُصَنِّف هذا وأثبت أنها معية حقيقية لا تقتضي الممازجة وأنه يجب أن تنفى عنه (الظنون الكاذبة) كظن أن السماء تظله أو تقله تعالى الله عن هذا الظن علوًا كبيرًا فهو ليس بحاجة إلى شيء من ذلك فهو الغني والخلق كلهم فقراء إليه.



وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ؛ مِثْلِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: (فِي السَّمَاءِ)؛ أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَهُوَ ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١]، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج:٦٥]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم:٢٥].

وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾... الْآيَةَ [البقرة:١٨٦]، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»، وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

○**قوله**: «**وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ ... إلخ**» أي يدخل في الإيمان بالله الإيمان بأنه قريب مجيب كما قد جمع الله بين ذلك في آية البقرة، وفي السنة أحاديث كثيرة في هذا الباب، وإنما ذكر ذلك الـمُصَنِّف رحمه الله لدفع توهم معارضتها للعلو، وبين أن إثبات صفة القرب لا تنافي صفة العلو والعكس كذلك فكلاهما مُثْبَتتان لله تعالى.

✓**ما الدليل على عدم التعارض بينهما؟**

الجواب: الدليل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] فعدم التعارض لأنه ليس كمثله شيء.

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالله وَكُتُبِهِ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ الله، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامُ غَيْرِهِ.

وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ الله، أَوْ عِبَارَةٌ، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

○**قوله**: «**وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالله وَكُتُبِهِ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ الله...**» كلام الـمُصَنِّف هنا عن القرآن وأنه شامل لثلاثة أمور مهمة:

١- أنه كلام الله منزل غير مخلوق.

٢- منه بدأ وإليه يعود.

٣- أن الله تكلم به حقيقة.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: «ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وهو ما دل عليه الكتاب والسنة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق»(١).

✓**لماذا أعاد الـمُصَنِّف هذه المسألة؟**

نص على هذا الكلام ليدفع توهمين:

التوهم الأول: اعتقاد أن الكلام المكتوب في المصحف ليس كلامه، وأن كلامه فقط هو المنطوق والحق أن كلام الله هو المكتوب والمنطوق.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧).



وَهُوَ كَلَامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، وَمَعانِيهِ، لَيْسَ كَلَامُ اللهِ الحرُوفَ دُونَ المعَانِي، وَلَا المعَانِي دُونَ الحرُوفِ.

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَبِكُتُبِهِ، وَبِمَلَائِكَتِهِ، وَبِرُسُلِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ المؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.

التوهم الثاني: أن الكلام كلام جبريل أو كلام النبي ﷺ والحق أنه كلام الله تعالى، وجبريل والنبي ﷺ كان دورهما التبليغ، ولهذا قال الـمُصَنِّف: «**فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا**» فأراد الـمُصَنِّف أن يدفع هذا التوهم الوارد وبين أنه لا يجوز أن يقال: إن القرآن عبارة عن كلام الله كما قالت الأشعرية، ولا أن يقال: إنه حكاية عن كلام الله كما قالت الكلابية.

وهؤلاء جميعًا اتفقوا على أن القرآن الذي في المصحف ليس كلام الله، والحق أنه كلام الله سواء كتب في المصحف أو قرأه الناس.

قال ابن القيم رحمه الله:

وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ أَفْعَالٌ لَنَا ... وَكَذَا الْكِتَابَةُ فَهْيَ خَطُّ بَنَانِ

لَكِنَّمَا المتْلُوُّ وَالمكْتُوبُ والْـ ... مَحْفُوظُ قَوْلُ الوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

○**قوله**: «**وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَبِكُتُبِهِ، وَبِمَلَائِكَتِهِ...**».

أشار الـمُصَنِّف رحمه الله في هذا الفصل إلى مسألة الرؤية.

يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى.

✓لماذا أعاد المُصَنِّف هذا الفصل مرة أخرى؟

الجواب: أراد الـمُصَنِّف رحمه الله أن يبين هنا أن مسألة رؤية المؤمنين لـربهم يوم القيامة على نوعين:

١) رؤية في عرصات القيامة، وفي موقف الحساب.

٢) رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بعد دخـول الجنـة، وهـي رؤيـة لـذة ونعيم، بل هي أعظم النعيم.

أما الكفار فلا يرون ربهم مطلقًا، وقال بعض أهل العلم: إنهم يرونه لكن رؤية غضب، لكن عموم قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] يدل على أنهم لا يرونه مطلقًا، والله أعلم بالصواب.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ثلاثة أقوال في رؤية الكفار لربهم، فقال: «والأقوال الثلاثة في رؤية الكفار:

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال لا المظهر للكفر ولا المسر له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب وذلك في عرصة القيامة ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه سبحانه وتعالى لهم في الموقف الحديث المشهور.



الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب - كاللص إذا رأى السلطان - ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم؛ وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل وإلى سهل بن عبد الله التستري»[1].

○ **قوله**: «**وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ** ...».

لا يخفى أن الإنسان يمر بخمس مراحل:

١- مرحلة العدم.

٢- الحمل.

٣ - الدنيا.

٤- البرزخ.

٥- الآخرة، وسميت الآخرة؛ لأنها آخر المراحل لا يوم بعد هذا اليوم.

أشار الـمُصَنِّف رحمه الله في أول هذا الفصل إلى ضابط جامع في الإيمان باليوم الآخر، وهو الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ بعد الموت، ولا شك أن هذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وهذه القاعدة يدخل تحتها أشياء كثيرة من الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه والحشر والنشر والبعث والصحف والإيمان بالميزان والحساب والجزاء والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار وما أعد الله لأهلها، فكل هذا داخل تحت هذه القاعدة فهي عبارة جامعة ولو فصل الـمُصَنِّف فيها لطال المقام، ولكنه أتى بقاعدة عامة يدخل تحتها مسائل كثيرة مما يكون في الآخرة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٧-٤٨٨).

فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ، فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، فَيَقُولُ المؤْمِنُ: رَبِّيَ الله، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي وَأَمَّا المرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ؛ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصُعِقَ. ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةُ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، ....

○**قوله**: «**فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ**» وهذا مما يعتقده أهل السنة وسلف الأمة، قال شيخ الإسلام: «مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب»[1].

○**قوله**: «**فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ**» ما ذكره الـمُصَنِّف جاء من حديث البراء ابن عازب في سنن أبي داود وأحمد[2]، وقد صححه ابن القيم في الروح[3].

و(**المرزبة**): المطرقة ويقال: مرزبة وإرزبه والمعنى واحد.

وسبق في شرح لامية ابن تيمية رحمه الله الكلام عن فتنة وعذاب القبر وكل هذا الذي أخبر به النبي ﷺ واقع، وقد أخبر به الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [المرسلات:٧].

○**قوله**: «**ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةُ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ**» **هنا إشكال**: إذا مات الكافر وكان في بطن سبع أو احترق كيف يقع عليه عذاب القبر؟

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٤).

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٣٩) رقم (٤٧٥٣) والمسند (٣٠/ ٥٧٦) رقم (١٨٦١٤).

(٣)ص (٤٨).

قال ابن القيم رحمه الله: «ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أولم يقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه من العذاب ما يصل إلى المقبورين»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن النعيم والعذاب الذي في القبر يقع على الروح والجسد»[٢].

ما الحكمة من إخفاء عذاب القبر بالنسبة للجن والإنس؟

هناك عدة حِكَم:

١- بقاء سنة التدافن كما قال ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ الله أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِى أَسْمَعُ مِنْهُ**». رواه مسلم من حديث زيد بن ثابت[٣].

٢- أن ما يجري في البرزخ هو من علم الغيب وحكمة الله اقتضت اختبار الناس، هل يؤمنون بالغيب الذي أخبر الله به ورسوله أم لا؟

٣- لو سمع الناس هذه الأصوات لفسدت عليهم حياتهم، وقد ذكر ابن تيمية وابن القيم أن بعض الناس إذا عرفوا أن في الخيل وسائر الحيوانات داء البطن[٤] ذهبوا بها إلى مقابر المشركين، فتلقي ما في بطنها، والله أعلم إنه لشدة ما تسمع من صياح بعض أهل القبور، ولهذا أخفيت لمصالح كثيرة.

---

(١) الروح ص (٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٢، ٢٨٩).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٩) رقم (٢٨٦٧).

(٤) يسمى (بالسهال).

إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى، فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ.

○**قوله**: «**إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ**» أشار بذلك إلى أنه هناك علم آخر من القيامة وهي القيامة الصغرى وهي الخاصة بكل إنسان من خروج روحه وانقطاع عمله، والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين أن قومًا من الأعراب سألوا النبي ﷺ عن الساعة فنظر إلى أحدث إنسان منهم وقال: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا لَا يُدْرِكْهُ الهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**»[1] التي هي القيامة الخاصة بكل إنسان.

أما القيامة الكبرى: فهي شاملة لكل أحد وحينها تعاد الأرواح إلى الأجساد فتعود كل روح إلى جسدها التي كانت فيه في الدنيا، والله يقول: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١] وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

○ **وقوله**: «**الْكُبْرَى**» هذا احتراز عن القيامة الصغرى، وما ذكره المُصَنِّف هنا مختص بالقيامة الكبرى حيث يأذن الله بانقضاء هذه الدنيا حين يأمر إسرافيل بنفخ الروح، فيصعق من في السموات والأرض إلا من شاء الله.

وتصبح الأرض صعيدًا جرزًا، وتصبح الجبال كثيبًا مهيلًا، ويتغير كل ما في العالم، كما أخبر الله في كتابه في سورتي التكوير والانفطار، والحكمة من ذلك هو أن هذا التغيير هو بداية للحياة الجديدة حياة الآخرة والله على كل شيء قدير.

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ١٠٧) رقم (٦٥١١) وصحيح مسلم (٤/ ٢٢٦٩) رقم (٢٩٥٢) من حديث عائشة ﵂.



وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا المسْلِمُونَ. فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

ثم يـأمر الله إسرافيل أن ينفخ النفخة الثانية ثم يقوم الناس من القبور وتنبت الأجساد من عَجْب الذنب (كما مر معنا سابقًا) فإنه يعاد الخلق منه، وحين يقومون من قبورهم يتكلم المنافقون: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ [يس:٥٢]، أما المؤمنون فيقولون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢]، ثم يحشر الناس عراة غُرْلًا غير مختونين، حفاة غير منتعلين، وتدنو الشمس من الخلائق ويلجمهم العرق حسب أعمالهم، ومن شدة الكرب يستشفع الناس بالأنبياء فلا يشفع لهم إلا نبينا محمد ﷺ، وتوضع الموازين، وتنشر الدواوين وهي التي فيها صحائف الأعمال ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩-٢٩].

○**قوله**: «**فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ**» تُعاد الأرواح إلى الأجساد ويُجمع شتات الأبدان، يجمع ما تمزق وتفرق، ويُعاد خلقا جديدًا: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًاۖ ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ [ق:٢-٤].

فَتُنْصَبُ الموَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٣].

فالأجزاء المتفرقة والأوصال المتمزقة والعظام النخرة يجمعها ربك وينشئها نشأة أخرى، ويعيد الأرواح نفسها إلى تلك الأبدان التي ينشئها الله نشئًا جديدًا، فتتشقق عن الناس قبورهم، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾[ق:٤٤].

وتتشقق الأرض كما تتشقق عن النبات، يدفن البذر في الأرض فتنمو هذه البذور، فتنشق عنها الأرض، فتخضر وتخرج الأشجار والثمار والله شبه إحياء الأموات وإخراجهم من قبورهم بإحياء الأرض بعد موتها: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الحج:٦].

وفي الآية الأخرى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فُصِّلت:٣٩]، وهذا المعنى في القرآن كثير[١].

○**وقوله:** «**فَتُنْصَبُ الموَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ**» قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكذا نصوص السنة الدالة على وزن الأعمال.

---

(١) توضيح مقاصد العقيدة الواسطية ص (١٧٣).



وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء:١٣،١٤]. **وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلَائِقَ،** ....

وكذلك نشر الدواوين، وهي: صحائف الأعمال، والآيات في هذا كثيرة ذكر الـمُصَنِّف منها: قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ [الإسراء:١٤]، أي: ألزمناه عمله، ونصيبه في عنقه ملازم له.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ كتابًا حقيقيًا الله أعلم بكيفيته.

﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ أي: مفتوحًا ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[التكوير:١٠].

كتاب قد أُحصي على الإنسان فيه كل صغير وكبير.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩]. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٣][١].

○**وقوله:** «**وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلَائِقَ**» والحكمة من هذه المحاسبة إيقاف البشر على أعمالهم وتقريرهم على معاصيهم قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨].

قال شيخ الإسلام ﵀: «وبيان هذا أن الله سبحانه يحاسب الخلق في ساعة واحدة لا يشغله حساب هذا عن حساب هذا وأدلة هذا كثيرة في الكتاب والسنة»[٢].

---

(١) توضيح مقاصد العقيدة الواسطية ص (١٧٤،١٧٥).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٢٩).

وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا.

○**وقوله:** «**وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ**» الحساب يوم القيامة على نوعين:

١- حساب المؤمن، وإليه يشير المؤلف بقوله: «**وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ**»؛ لحديث ابن عمر ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ**»[1]، فهذا هو النوع الأول من الحساب، ويتمثل في أمرين:

- خلو الله بعبده المؤمن.

- أن الله يقرر عبده المؤمن بذنوبه كي يعلم أن دخوله الجنة برحمة الله وعفوه.

٢-حساب الكفار وقد بينه الـمُصَنِّف ؒ في قوله: «**وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتِ لَهُمْ**» والعلة في ذلك عدم وجود حسنات حتى توزن، وإنما الذي توزن حسناته وسيئاته من كانت له حسنات، أما هؤلاء فلا حسنات عندهم، وليس المراد أن الكفار لا توزن أعمالهم مطلقًا؛ لأن القرآن أثبت أن الكفار توزن أعمالهم كما قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٧٤) رقم (٤٦٨٥)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠) رقم (٢٧٦٨).



وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الحوْضُ الموْرُودُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا ....

ونظائر ذلك في القرآن كثير، وإنما أراد الـمُصَنِّف رحمه الله أن حسابهم ليس كحساب المؤمنين الذين لهم حسنات وسيئات تحتاج إلى ميزان قد ترجح فيه الحسنات فينجو، وقد ترجح السيئات فيستوجب العذاب.

○**وقوله**: « **وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الحوْضُ الموْرُودُ** » **(العرصات)**: جمع: عرصة، وهي في اللغة: المكان الكبير المتسع، والمراد به هنا: موقف القيامة، وفيه أمور كثيرة ثبتت بالنصوص ويجب الإيمان بها وفق ما جاءت به النصوص، ومن ذلك حوض النبي ﷺ.

وقد وصفه الـمُصَنِّف بأنه مورود، فمن الذي يَرِدهُ؟

الجواب: يَرِدهُ أتباع النبي ﷺ وأما من كان من أمته وبدَّل وغيَّر فإنه كما أخبر النبي ﷺ يُذاد عنه كما يُذاد البعير الضال[1].

وهل الحوض موجود الآن أو لا يوجد إلاَّ يوم القيامة؟

الجواب: الحوض موجود الآن، والدليل حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **إِنِّي وَالله لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ** »[2] ودلالة الحديث على وجود الحوض الآن من وجهين هما:

١- من قوله: « **لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي** ».

٢- ومن قوله: « **الْآنَ** ».

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٢) رقم (٢٣٦٧)، ومسلم (١/ ٢١٨) رقم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٩٠) رقم (٦٤٢٦)، ومسلم (٤/ ١٧٩٥) رقم (٢٢٩٦) من حديث أبي هريرة.

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لهمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

○**قوله**: «**وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ**» فيه إثبات الصراط في الآخرة، وأنه الجسر الممدود على متن جهنم وهو بين الجنة والنار وهو حق لا مِرْيَةَ فيه، ومن استقام على الصراط في الدنيا، استقام عليه في الآخرة، أما من خالف صراط الله في الدنيا فإنه لا يستقيم عليه في الآخرة، وقد أفادت النصوص أن المرور على الصراط بحسب الأعمال، فمن عمل صالحًا في الدنيا، فإنه ينجو بإذن الله في الآخرة، ويمر على الصراط بقدر هذا العمل الذي عمله، فمن هؤلاء من يمر كلمح البصر ومنهم كالبرق ومنهم كركاب الخيل، وهكذا فالمقصود أنه بقدر الأعمال التي عملها الإنسان في الدنيا يكون مروره على الصراط فيتفاوت المرور بتفاوت الأعمال.

○**قوله**: «**فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**» القنطرة: هي جسر صغير بعد الصراط.

○**قوله**: «**فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لهمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ**» هذه هي الحكمة من الوقوف على القنطرة وهي التهذيب والتنقية، وذلك بعد ما يقتص الناس بعضهم من بعض، وبعد هذه التنقية يذهب ما في قلوب المؤمنين من غل وحسد وبغضاء.

وهل يوجد في قلوب المؤمنين غِلٌّ؟

الجواب: نعم والدليل قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[الحجر:٤٧].

والفرق بين المؤمن وغيره هو:

١- أن الغل والحسد لا يملأ قلبه.

٢- أنه لا يستقر في قلبه الغل بل يعالجه ويزكي قلبه بالإيمان والقرآن ومجاهدة النفس.

أما غير المؤمن فيتمكن منه الغل فيسيطر على قلبه فيضل والعياذ بالله، لذلك جاء في الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام: «**حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لهمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ**»[١].

o**قوله**: «**وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**» لقوله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ**»[٢]، وفي رواية: «**وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ**»[٣]، وفي لفظ عند مسلم: «**آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ**»[٤].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٨) رقم (٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٨٨) رقم (١٩٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٨٨) رقم (١٩٦) (٣٣١).

(٤) صحيح مسلم (١/ ١٨٨) رقم (١٩٦) (٣٣٣).

وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ أُمَّتُهُ، وَلَهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ: أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الموْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى اِبْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ، وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الجنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجنَّةَ وَهَاتَانِ الشفاعتان خَاصَّتَانِ لَهُ، وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اِسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اِسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا، وَيُشَفَّعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا.........

○**قوله**: «وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ أُمَّتُهُ» كما في قوله عليه الصلاة والسلام من حديث أبي هريرة في الصحيحين: «**نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1] الآخِرون: أي: في الدنيا، الأولون: في دخول الجنة.

○**قوله**: «وَلَهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ» أشار المُصَنِّف إلى الشفاعات يوم القيامة وأوصلها إلى ثلاث شفاعات وأوصلها بعضهم إلى ثمان شفاعات، وقد سبق ذكرها في شرح حائية ابن أبي داود.

✓ **كيف نجمع بين هذه الشفاعات؟**

الجواب: هنا شيخ الإسلام رحمه الله ذكر الشفاعات إجمالًا، وأما من زاد على هذا العدد فقد أراد التفصيل، وقد انقسم الناس في الشفاعة إلى ثلاثة أقسام طرفين ووسط:

١- قسم نفوا الشفاعة ولم يثبتوها وهم الخوارج والمعتزلة.

٢- قسم أثبت الشفاعة لكل أحد حتى للأصنام، وأثبتوها أيضًا لمعبوديهم من دون الله التي قالوا عنها: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس:١٨].

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٢) رقم (٨٧٦)، وصحيح مسلم (٢/ ٥٨٥) رقم (٨٥٥).

وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ، بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمْ الجَنَّةَ، وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الْآخِرَةِ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالجنَّةِ وَالنَّارِ.

٣- القسم الوسط الذي دلت عليه النصوص وهو مذهب أهل السنة والجماعة، إثبات الشفاعة حسب ما أفادته النصوص؛ ولكن بشرطين هما:

أ- إذن الله ﷻ للشافع بالشفاعة.

ب- رضى الله ﷻ عن المشفوع له.

ودليلهما قول الله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].

○**قوله:** «**وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ**» ثبت في النصوص أن الله سبحانه تكفل للجنة والنار بملئهما، فأما النار فكما قال سبحانه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩]، وأما الجنة فدلت النصوص أن الله ينشئ لها خلقًا بعد أن يبقى فيها فضل، كما عند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**وَأَمَّا الجنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا**»(١).

○**قوله:** «**وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الْآخِرَةِ**» هذا كلام جامع نافع، فالمُصَنِّف في هذا الكلام كأنه يقول: ما ذكرته في هذه الرسالة أمثلة لما سيجري في الدار الآخرة وما لم أذكره وهو الأكثر، فالمرجع فيه الكتاب والسنة لأن فيهما ما يكفي ويشفي، ولا حاجة إلى الرجوع في ذلك إلى التوراة أو الإنجيل أو أخبار بني إسرائيل، ولا يجوز الاحتكام في ذلك إلى العقل، بل المرجع في هذا الباب كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري رقم (٤٥٦٩)، وصحيح مسلم رقم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ المنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ المأْثُورِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الموْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنْ اِبْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:...................

○**قوله**: «وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» هنا ابتدأ المُصَنِّف بموضوع جديد ويمكن أن نضع له العنوان التالي: «اعتقاد الفرقة الناجية في موضوع القدر»، وموضوع القدر من الموضوعات الدقيقة التي حارت فيه العقول وضل فيه من ضل، منذ عهد التابعين إلى زمننا هذا، والمنهج الصحيح في هذا الباب هو: الالتزام بما جاء في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا إيغال في مسائله الدقيقة التي لم ترد في الكتاب والسنة، وهو من أركان الإيمان الستة، ولا يتم إيمان المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره.

○**قوله**: «وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ» وعلى هذا تكون المراتب أربعًا هي:

١- الإيمان بعلم الله الأزلي، وأن الله سبحانه قد علم كل شيء، وعلم أفعال العباد قبل أن يعملوها، وعلم بالأشياء قبل وقوعها، وقد دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة؛ ولهذا اتفق العلماء على أن من أنكر علم الله الأزلي فهو كافر.

٢- كتابة ذلك العلم في اللوح المحفوظ، وسمي باللوح المحفوظ؛ لأنه محفوظ عن المشاهدة والاطلاع عليه من قبل الخلق، ومحفوظ أيضًا عن التغيير والتبديل والزيادة والنقص.



الدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الله تَعَالَى عَلِيمٌ بِالخَلْقِ وَهُمْ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعِلْمُ جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ المحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخلْقِ فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ؛ قَالَ لَهُ اُكْتُبْ قَالَ مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ اُكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج:٧٠].

وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد:٢٢].

٣- مشيئته الشاملة لكل ما يحدث، فلا يخرج عنها شيء، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، يعني: كل موجود وجد بمشيئته، وكل معدوم فقد بمشيئته جل وعلا، هذا عموم لا يخرج عنه شيء.

٤- إيجاده لكل المخلوقات، وأنه الخالق سبحانه وما سواه مخلوق.

وهناك تقسيم للقدر من حيث الزمن، وأنه على أربعة تقديرات هي:

الأول: التقدير العام: وهو تقدير الله لجميع الأشياء، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الحج:٧٠].

الثاني: التقدير العمري: وهو تقدير الله تعالى لكل ما يجري على العبد، من أول حياته إلى آخرها، وكتابة شقاوته أو سعادته.

الثالث: التقدير السنوي: وهو ما يقدره الله سبحانه في ليلة القدر، كما في قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان:٤].

الرابع: التقدير اليومي، كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٖ﴾[الرحمن:٢٩].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المحْفُوظِ مَا شَاءَ وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ اُكْتُبْ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيد وَنَحْوَ ذَلِكَ فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ الله النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ الله كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهَّ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَالله خَالِقُ أَفْعَالِهِم وَالْعَبْدُ هُوَ المؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالمصَلِّي، وَالصَّائِمُ وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلهمْ إِرَادَةٌ، وَالله خَالِقُهُمْ وَقُدْرَتَهِمْ وَإِرَادَتَهِمْ؛ كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير ٢٨-٢٩].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ النَّبِـيُّ ﷺ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِـنْ أَهْـلِ الْإِثْبَـاتِ، حَتَّـى سَـلَبُوا الْعَبْـدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ الله وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

○**قوله:** «وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ ... إلخ».

ضلت في هذه الدرجة من القدر - المتضمنة للمشيئة والخلق - طائفتـان متقابلتان:

الطائفة الأولى: القدرية من المعتزلة وغيرهم: وهؤلاء ضلوا بـالتفريط، حيث أنكروا مشيئة الله وخلقه للأقدار، فجعلوا العبـد هـو الـذي يحـدث، ويخلق أفعاله بدون مشيئة الله وخلقه لها.



والعصاة على قولهم خرجوا عن مشيئة وقدرته وحكمه وسلطانه وخلقه فليسوا خاضعين: لا لأمره الشرعي، ولا لأمره القدري الكوني[1].

الطائفة الثانية: الجبرية من الجهمية ونحوهم: فهؤلاء ضلوا بالغلو في إثبات القدر، فأثبتوا المشيئة والخلق لله تعالى، ولكن سلبوها عن العبد بالكلية؛ حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا اختيار، ولا فعل؛ كالريشة في مهب الرياح، وإنما تسند الأفعال إليه مجازاً، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق؛ فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون.

وهدى الله أهل السنة للمنهج الحق الوسطي، فأثبتوا لله تعالى مشيئة وخلقاً، وأثبتوا للعبد مشيئة وإرادة واختيار، ولكنها تحت مشيئة الله تعالى[2].

○**قوله: «أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ»**.

الفرق بين أقوال القلوب وأعمالها هو: أن أقوال القلوب هي العقائد التي يعتقدها المرء في قلبه.

---

(١) ينظر: الحسنة والسيئة ص (١٣١)، والرد على الشاذلي في حزبيه ص (٨٩)، وجامع الرسائل كلها لابن تيمية (١/ ٢٥).

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص (٢٢٩، ٢٣٠) بتصرف يسير.

وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمعْصِيَةِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الخوَارِجُ، بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

أما أعمال القلوب: فهي ثمرة هذه العقائد وما ينتج منها من محبة الله ورسوله، ومحبة الخير وبغض الشر ونحو ذلك من أعمال القلوب.

قال ابن القيم رحمه الله: «الإيمان له ظاهر وباطن، فظاهره قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له، ولا يجزي باطن لا ظاهر له»[١].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى: «المراد بقول القلب: تصديق القلب وإقراره ومعرفته... وأما عمله فهو الانقياد»[٢].

ثم قال: «ويدخل في هذا أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان مثل: حب الله ورسوله، وخشية الله ...»[٣].

○**وقوله**: «**وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمعْصِيَةِ**» قد مر هذا في شرح الحائية تحت قول الناظم:

وَقُلْ: إِنَّمَا الإِيمَانُ: قَوْلٌ وَنِيَّةٌ ... وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالمعَاصِي وتَارَةً ... بِطَاعَتِهِ يَنْمِى وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٧١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٨٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٨٦).



وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات:٩-١٠].

وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ الْإِسْلَامَ بِالْكُلِّيَّةِ، ....

وعلى هذا فالإيمان يتفاضل عند أهل السنة خلافًا للمرجئة الذين يقولون: إن الإيمان إذا ثبت في قلب المسلم فلا يزيد ولا ينقص.

○**وقوله:** «**وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ الْإِسْلَامَ بِالْكُلِّيَّةِ**» لا يسلبون: لا ينفون، والفاسق: الخارج عن طاعة الله، والمراد به هنا: مرتكب الكبيرة، كالزنا وشرب الخمر ونحوهما، وموقف أهل السنة منه: أنهم لا يسلبون منه اسم الإيمان بالكلية، ولا يخرجونه من دائرة الإسلام.

○**وقوله:** «**الْمِلِّيّ**» أي من كان من أهل ملة النبي ﷺ والذي على الملة يبقونه على هذا الأصل إلا بمكفر يدل عليه الكتاب و السنة فمتى ما وقع منه كفر يخرج من الملة، كالاستهزاء بالقرآن مثلًا، فيخرجونه من الملة استدلالًا بقول الله: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [التوبة:٦٥،٦٦]. فالله هو الذي حكم بكفره، وأهل السنة لا يتجاوزون القرآن، وسنة النبي الكريم ﷺ.

لكن هناك فرقٌ بين التكفير المطلق، والتكفير المعين: فالتكفير المطلق: أن يُقال: من قال كذا فهو كافرٌ، من فعل كذا فهو كافرٌ، من اعتقد كذا فهو كافرٌ.

أما التكفير المعين: فالمراد به إطلاق الكفر على شخص بعينه، وهذا يجب فيه استيفاء الشروط، وانتفاء الموانع، وإقامة الحجة، وإزالة الشبهة.

وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ المعْتَزِلَةُ بَلْ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اِسْمِ الْإِيمَانِ المطلق؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]. وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اِسْمِ الْإِيمَانِ المطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [لأنفال:٢]،

هذا ما قرره العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وسليمان بن سحمان، وغيرهم[1]، وقد سبق التفصيل في هذه المسألة في شرح الحائية.

○ **قوله:** «**وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّار**» أي لا يخلدونه التخليد الأبدي، بل يردون أمره إلى الله سبحانه؛ لأن التخليد الأبدي في النار جاء في حق الكفار والمشركين في مواضع ثلاثة من القرآن هي:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:١٦٨، ١٦٩].

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٥].

٣- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣].

○ **قوله:** «**بَلْ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اِسْمِ الْإِيمَانِ المطلق**» أي أنه باق على إسلامه حتى ولو كان فاسقًا قد ارتكب الكبائر فلا يجوز أن يسلب اسم الإسلام، بل هو باق على إسلامه مهما كان مسرفًا على نفسه بالمعاصي ما دام موحدًا لم يشرك بالله.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٦٦)، و(١٠/ ٣٧٢)، والدرر السنية (١٢/ ٨٩)، وفتييان تتعلقان بتكفير الجهمية لسليمان بن سحمان وإبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ص (١٥٨).



وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»

وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَان، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَى الِاسْمَ المطْلَقَ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الِاسْمِ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ....

○ **قوله:** «وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَان، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ» وهذا هو الحكم الشرعي على الفاسق فيعبر عنه بأنه: ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بعصيانه، وهو خلاصة هذا الفصل، ومقتضى العدل، الذي دلت نصوص الكتاب والسنة عليه.

○ **قوله:** «فَلَا يُعْطَى الِاسْمَ المطْلَقَ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الِاسْمِ» فلا يعطى الاسم المطلق وهو: اسم الإيمان الكامل، ولا يسلب مطلق الاسم وهو: اسم الإيمان الناقص، وهنا منفي ومثبت، فالمنفي: الإيمان الكامل والمثبت: الإيمان الناقص فلا يجوز تكفير الفاسق ولا يجوز أن يوصف بالإيمان الكامل.

○ **قوله:** « وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» هذا الفصل متعلق بالصحابة وفضائلهم، وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم من النيل منهم، ووجوب محبتهم والترضي عنهم، وذكر محاسنهم والإمساك عمّا شجر بينهم، والاعتقاد بأن ما جاء عنهم في ذلك أكثره كذب، وما صح عنهم في ذلك هم فيه بين أمرين:

كَمَا وَصَفَهُمْ الله بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهُمْ وَلَا نَصِيفَهُ»، وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الحدَيْبِيَّةِ- وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ وَيُقَدِّمُونَ المهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ.

١- مجتهدون مصيبون.

٢- أو مجتهدون مخطئون.

فالمجتهد المصيب له أجران، والمجتهد المخطئ له أجر واحد، وخطأه مغفور باجتهاده، ومما يعتقده أهل السنة أيضًا: الشهادة لمن شهد له النبي ﷺ منهم بالجنة.

✓ **مسألة: هل يشهد لأحد بالجنة ممن لم يشهد له النبي ﷺ بذلك؟**

في هذه المسألة خلاف مشهور على رأيين:

الرأي الأول: قول جمهور أهل العلم أنه لا يشهد لأحد لم يشهد له النبي ﷺ بالجنة.

الرأي الثاني: قول شيخ الإسلام أنه تجوز الشهادة لمن استفاض في الأمة الثناء عليه، قال شيخ الإسلام: «ولا يشهد لأحد بالجنة إلا لمن شهد له الرسول ﷺ أواتفقت الأمة على الثناء عليه»[1].

---

(١) الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٥٩).

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَر «اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَة وَيَشْهَدُونَ بِالجنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاس، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ المؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ....

وأوسع كتاب تحدث فيه شيخ الإسلام عن ذلك هو: كتاب النبوات، فقد عدد الأقوال في هذه المسألة وقال: «قيل يشهد لمن استفاض عند الأمة أنه رجل صالح كعمر بن عبد العزيز والحسن البصري وغيرهم، وكان أبو ثور يشهد لأحمد بن حنبل بالجنة ... وفي الصحيحين: «أن النبي ﷺ مُرَّ عليه بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال وجبت وجبت، ومر عليه بجنازة فأثنوا عليها شرًّا فقال وجبت وجبت فقيل: يا رسول الله ما قولك وجبت وجبت؟ قال هذه الجنازة أثنيتم عليها الخير فقلت وجبت لها الجنة، وهذه الجنازة أثنيتم عليها شرا فقلت وجبت لها النار أنتم شهداء الله في الأرض»[1]»[2].

○**قوله:** «**مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ**» وقد جمع أبو بكر ﷺ من الفضائل والمحاسن ما لم يجمعه أحد من الصحابة ﷺ جميعًا.

قال شيخ الإسلام في جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية: «حكى غير واحد من العلماء إجماع أهل السنة والجماعة على أنه - يعني أبا بكر - أعلم الصحابة، فهو أعلمهم وأشجعهم وأجودهم وأدينهم باتفاق أهل المعرفة من المسلمين»[3].

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٩٧) رقم (١٣٦٧)، وصحيح مسلم (٢/ ٦٥٥) رقم (٩٤٩).
(٢) النبوات ص (١٠).
(٣) الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية ص (٧٩).

ثُمَّ عُمَرُ وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، وَرَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ المسْأَلَةُ مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ المخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ لَكِنَّ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الخِلَافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الخلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ آلَ بَيْتِ رَسُولِ الله ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ الله ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمْ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي».

○**قوله: «ثُمَّ عُمَرُ وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُمْ... إلخ»** خلاصة هذه المسألة: أن أمر أهل السنة استقر على تقديم عثمان على عَلِيٍّ في الفضل، ومن خالف في ذلك فلا يُضَلَّل؛ لكنه خالف ما استقر عليه أهل السنة في أمر لا ينبغي له المخالفة فيه، وأما من قدم عليًا على عثمان في الخلافة فإنه ضال بل يقول الـمُصَنِّف هنا: هو أضل من حمار أهله.

○**قوله: « وَيُحِبُّونَ آلَ بَيْتِ رَسُولِ الله ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ... إلخ»** لحث النبي ﷺ على ذلك وترغيبه الأكيد على ذلك حيث قال ﷺ: «**أُذَكِّرُكُمْ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي**» كما في حديث زيد في مسلم[1].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٣) رقم (٢٤٠٨).



وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ وَقَدْ اِشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ لله وَلِقَرَابَتِي».

وَقَالَ: «إِنَّ الله اِصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضِدَه عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ، وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ الله عَنْهَا الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

ويدخل في أهل بيته أزواجه الطاهرات المطهرات رضي الله عنهن؛ ولهذا خصهن الـمُصَنِّف بالذكر والتأكيد، وقد خص الـمُصَنِّف اثنتين هما:

خديجة وعائشة رضي الله عنهما وخديجة رضي الله عنها كانت لها مزية لسابقتها في الإسلام ومساندتها النبي ﷺ ووقوفها معه، ولكونها أمّ أكثر أولاده، وعائشة رضي الله عنها جاء فضلها في قول النبي ﷺ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»[(١)]، وقد قال القحطاني:

أَكْرِمْ بِعَائِشَةِ الرِّضَا مِنْ حُرَّةٍ ... بِكْرٍ مُطَهَّرَةِ الإِزَارِ حَصَانِ

هِيَ عُرْسَهُ هِيَ إِلْفُهُ هِيَ أُنْسُهُ ... هِيَ حِبُّه صِدْقًا بِلَا إِدْهَانِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٨) رقم (٣٤١١)، ومسلم (٤/ ١٨٨٦) رقم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وَيَتَبَرَّؤونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِب الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَيقولون إن هَذِهِ الْآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنَقَص وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الجمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنَّ صَدَرَ، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لهمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الحسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ المدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

○**قوله**: «وَيقولون إن هَذِهِ الْآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ» وهو الأكثر.

○**قوله**: «وَلهمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنَّ صَدَرَ» من الأسباب المكفرة لذنوبهم:

أ) التوبة.

ب) أن يأتي الصحابي بحسنات تمحو ذنوبه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود:١١٤].

ج) أن يغفر الله تعالى له ذنوبه بفضل سابقته في الإسلام.

د) شفاعة الحبيب ﷺ والصحابة هم أحق الناس بشفاعته.

هـ) الابتلاء الذي يبتلي الله تعالى به عباده المؤمنين، فهذه الأسباب ماحية للذنوب الصادرة من آحادهم.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ المحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الْأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أخطئوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالخطَأُ مَغْفُورٌ، ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الْإِيمَانِ بالله، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ الله عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الخلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى الله.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي الله عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالمكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، وَالمأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قرون الْأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ....

○**قوله**: «وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ...» قال ابن سعدي: «تواترت نصوص الكتاب والسنة، والوقائع قديمًا وحديثًا على وقوع كرامات الأولياء ... »[1] ثم ذكر رحمه الله أن كرامات الأولياء تفيد ثلاث قضايا:

أ) الدلالة على كمال قدرة الله تعالى.

ب) أن وقوع الكرامة للأولياء هي معجزة للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصل للأولياء إلا ببركة متابعتهم نبيهم.

---

(١) التنبيهات اللطيفة ص (١١٠-١١٣).

....

ج) أن كرامات الأولياء من البشرى المعجلة في الحياة الدنيا، والله تعالى يقول: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [يونس:٦٣].

✓**مسألة: الفرق بين المعجزة والكرامة والأحوال الشيطانية:**

قال ابن باز ﷫: «الفرق بين المعجزة والكرامة والأحوال الشيطانية، أن المعجزة هي ما يجري الله على أيدي الرسل والأنبياء من خوارق العادات من انشقاق القمر، ونزول القرآن، فإن القرآن هو أعظم معجزة على الإطلاق، وحنين الجذع ونبوع الماء من بين أصابعه، وأما الكرامة فهي ما يجري الله على أيدي أوليائه المؤمنين من خوارق العادات، وشرط كونها كرامة: أن يكون من جرت على يديه مستقيمًا على الإيمان، ومتابعة الشريعة، فإن كان خلاف ذلك، فالجاري على يده من الخوارق هو من الأحوال الشيطانية».

ثم ذكر ﷫ فائدة جليلة تتعلق بهذا الموضوع، فقال: «لِـيُعْلم أن عدم حصول الكرامة لبعض المسلمين لا يدل على نقص إيمانهم؛ لأن الكرامة إنما تقع لأسباب منها: تقوية إيمان العبد وتثبيته، ولهذا لم ير كثير من الصحابة شيئًا من الكرامات لقوة إيمانهم وقوة يقينهم، ومنها لإقامة الحجة على العدو كما حصل لخالد لما أكل السم وكان قد حاصر حصنًا فامتنعوا عليه حتى يأكله فأكله وفتح الحصن، ومثل ذلك ما جرى لأبي مسلم الخولاني لما ألقاه الأسود العنسي في النار، فأنجاه الله من ذلك لحاجته لتلك الكرامة، وكقصة أم أيمن لما خرجت مهاجرة واشتد بها العطش سمعت حسًا من فوقها فرفعت رأسها فإذا بدلوٍ من الماء فشربت منه»[1].

---

(١) ينظر: تعليقه على التعليقات اللطيفة ص (١١٠-١١١).



وبين كرامات الأولياء، وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة، منها: أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، والأحوال الشيطانية، سببها ما نهى الله عنه ورسوله.

فالقول على الله بغير علم، والشرك والظلم والفواحش، قد حرمها الله تعالى ورسوله، فلا تكون سببًا لكرامة الله تعالى، ولا يستعان بالكرامات عليها.

ومن أهل الأحوال من إذا حضر سماع المكاء والتصدية يتنزل عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء، ويخرجه من تلك الدار، فإذا حضر رجل من أولياء الله تعالى، طرد شيطانه فيسقط، كما جرى هذا لغير واحد.

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سواء كان ذلك المخلوق مسلمًا أو نصرانيًا أو مشركًا، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص، أو هو ملك تصور على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تَدخل في الأصنام وتكلم المشركين.

ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور، وأعانه على بعض مطالبه.

وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب، يموت لهم الميت، فيأتي الشيطان بعد موته على صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضي الديون، ويرد الودائع[١].

---

(١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص (٢٣٦-٢٣٧) بتصرف.

....

ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال: إذا أنا مت فلا تدع أحدًا يغسلني، فأنا أجيء وأغسل نفسي، فلما مات رأى خادمه شخصًا في صورته، فاعتقد أنه جاء ليغسل نفسه، فتأمل كيف جاء الشيطان في صورته ليغوي الأحياء، كما أغوى الميت قبل ذلك.

ومنهم من يرى عرشًا في الهواء، وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه ويقول: أنا ربك، فإن كان من أهل المعرفة، علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه، فيزول ذلك.

ومنهم من يرى أشخاصًا في اليَقَظَة يدّعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين، ويكون من الشياطين، وقد جرى هذا لغير واحد.

ومنهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره، فيرى القبر قد انشق وخرج إليه صورة، فيعتقدها الميت، وإنما هو جني تصور بتلك الصورة.

وكل من قال: إنه رأى نبيًّا بعين رأسه فما رأى إلا خيالًا.

وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة.

ومن أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية، سماع الغناء والملاهي وهو سماع المشركين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال:٣٥].

قال ابن عباس وابن عمر ﵄ وغيرهما من السلف: «التصدية: التصفيق باليد، والمكاء: مثل الصفير». فكان المشركون يتخذون هذا عبادة[١].

---

(١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص (٢٣٧-٢٥٠) بتصرف.



وكان أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحدًا منهم أن يقرأ، والباقون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري: «ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم يستمعون»[1].

فأولياء الله الذين تجري على أيديهم الكرامات: هم المؤمنون المتقون، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢،٦٣].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»، فهذا أصح حديث يروى في الأولياء، فبيّن النبي ﷺ أن من عادى وليًّا لله، فقد بارز الله بالمحاربة.

وكل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء، والأبدال، والنقباء، والنجباء، والأوتاد، والأقطاب، أو القطب الواحد، فليس بصحيح عنه ﷺ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال، وقد جاء في الحديث: أنهم أربعون رجلًا، يكونون بالشام، والحديث منقطع ليس بثابت أخرجه أحمد في مسنده[3] من حديث علي رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٤٨٦) رقم (٤١٧٩)، والدارمي في سننه (٤/ ٢١٩٠) رقم (٣٥٣٦)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ١٦٩) رقم (٧١٩٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٨).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ١٠٥) رقم (٦٥٠٢).

(٣) (٢/ ٢٣١) رقم (٨٩٦)، ولفظ الحديث: «**الْأَبْدَالُ يَكُونُونَ بِالشَّامِ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ رَجُلًا، يُسْقَى بِهِمُ الْغَيْثُ، وَيُنْتَصَرُ بِهِمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَيُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ بِهِمِ الْعَذَابُ**». والحديث منقطع؛ لأنه من رواية شريح بن عبيد عن علي، وشريح لم يدرك عليًّا.

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجماعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ المهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنْ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظفره، إذا كان مباحًا، كما قيل: كم من صدِّيقٍ في قَباء، وكم من زنديقٍ في عباء، بل يوجد في جميع أصناف أمة محمد ﷺ فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، ويوجد في أهل الجهاد والسيف ويوجدون في التجار والصناع والزراع[(١)].

✓ **ما الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؟**

«جماع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله ﷺ، فإنه هو الذي فرق الله به بين أوليائه وأعدائه، بين أوليائه السعداء، وأعدائه الأشقياء، وبين أوليائه أهل الجنة، وأعدائه أهل النار»[(٢)].

وأخيرًا بعد ما فرغ الـمُصَنِّف من بيان منهج أهل السنة في مسائل العقيدة، ناسب أن يذكر منهجهم في عموم الدين وأصوله وما يتفرع من ذلك، وذكر جملة من صفاتهم التي ترسم منهجهم وهي:

١- اتباع آثار الرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا.

٢- اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

---

(١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص (٨ -٧٢) بتصرف يسير.

(٢) الفرقان ص (٢٠٢).



وَيَعْلَمُونَ أَنْ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرُ الهدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الِاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اِسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ المجْتَمِعِينَ وَالْإِجْمَاعُ هُوَ الْأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الِاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَ فِي الْأُمَّةِ.

٣- اتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا...**»[1]، والفرق بين اتباع سبيل السابقين الأولين، وبين اتباع وصية رسول الله ﷺ كما في هذا الحديث هو: أن اتباع سبيل السابقين الأولين اتباعٌ عامٌ للصحابة جميعًا، أما اتباع الوصية الواردة في الحديث فهو: اتباع خاص للخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين.

٤- أنهم يعظمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٥- الاجتماع على الكتاب والسنة والتعاون على البر والتقوى.

٦- أنهم يزنون الناس بالأصول الثلاثة وهي الكتاب والسنة والإجماع الذي كان عليه السلف الصالح.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٣٧٥) رقم (١٧١٤٥)، وأبو داود (٤/ ٢٠١) رقم (٤٦٠٧)، والترمذي رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه (١/ ١٦) رقم (٤٣) من حديث العرباض بن سارية، وهو حديثٌ صحيحٌ تتابعت عبارات الأئمة في تصحيحه كالترمذي وأبي نُعَيْم والبغوي، وغيرهم.

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ؛ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

أما إجماع من بعدهم، فلم يصح كثير منه لسببين هما:

أ- كثرة الاختلاف.

ب- انتشار المسلمين في أقطار الأرض مما يشق بعده نقل الإجماع قال الإمام أحمد رحمه الله: «من ادّعى الإجماع فقد كذب»[١].

○**قوله: «ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ...»**.

هذا فصل جديد عقده الـمُصَنِّف لبيان صفات أهل السنة والجماعة فبعد ما ذكر أصول عقيدتهم ناسب أن يذكر بعد ذلك صفاتهم؛ ولهذا قال: «**ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ**» فانتهى الكلام عن الأصول، ثم انتقل المصنف لذكر صفات أهل السنة، فأول صفة من صفاتهم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكنه كان موفقًا رحمه الله حيث قيد هذه الصفة بقيد مهم وهو قوله: «**عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ**» يعني قيامهم بهذا هو وفق ما جاء في الشريعة، وقد بين ذلك بيانًا أوسع في عددٍ من مؤلفاته ومن ذلك قوله: «لا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ولا بد من العلم بحال المأمور وحال المنهي، ثم قال: ولا بد في ذلك من الرفق ولابد أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى فإنه لا بد أن يحصل له أذى، ثم قال: فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح فلا بد من العلم والرفق والصبر والعلم قبل الأمر والنهي والرفق معه والصبر بعده»[٢].

---

(١) العدة في أصول الفقه لأبي يعلى الفراء (٤/ ١٠٥٩).

(٢) الاستقامة (٢/ ٢٣٠).

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحجِّ وَالْجِهَادِ وَالجمَعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجمَاعَاتِ، ....

ونستفيد من هذا الكلام أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عدة شروط:

١- العلم بحال المأمور وحال المنهي.

٢- العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما فقد يظن الظان أن هذا منكر وليس بمنكر أو هو معروف وليس كذلك، ولهذا أمثلة منها:

المثال الأول: من ينكر على من يجلس جلسة الاستراحة ظنًا منه أنها غير مشروعة.

المثال الثاني: من ينكر على من يصلي تحية المسجد بعد صلاة العصر بناءً على أنها وقعت نهي، مع أنَّ الذي يصليها يحتج بكونها من ذوات الأسباب.

المثال الثالث: من ينكر في الحج على من يرمي قبل الزوال، باعتبار أنه خلاف السَّنة، مع أن الذي يعمل بذلك يحتج بقول من أجازه.

٣- الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- الحلم والصبر على الأذى في ذلك، ومتى ما التزم الداعية بهذه الشرائط كان ذلك طريقًا إلى قبوله في النفوس.

○ **قوله:** «**وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحجِّ وَالْجِهَادِ وَالجمَعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأُمَرَاءِ ...**»

هذا من أصول أهل السنة: إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الولاة المسلمين أبرارًا كانوا أو فجارًا. ودليله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء:٥٩].

وقد كان الصحابة يصلون مع مَنْ يعرفون فسقهم كصلاة ابن عمر خلف الحجاج، وصلاة ابن مسعود خلف الوليد بن عقبة.

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «المؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»، ....

وقد جاء عن الوليد بن عقبة أنه صلى مرة الفجر أربع ركعات بسبب شرب الخمر[١] ومع ذلك لم يمنع ذلك الصحابة أن يصلوا خلفه، لكنهم أنكروا عليه.

○**قوله:** «**وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ**» هذا دليله حديث تميم ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ قَالَ: لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[٢].

- المراد بالنصيحة لله: هو بالإيمان به وبربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.
- المراد بالنصيحة للرسول: تصديقه واتباعه.
- المراد بالنصيحة للكتاب: الإيمان به وتدبره والعمل به.
- المراد بالنصيحة لأئمة المسلمين: أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ودلالتهم على الحق وطاعتهم بالمعروف وتبصيرهم بالحق إذا انحرفوا عنه.
- المراد بالنصيحة للعامة: أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وكف الأذى عنهم، والسعي في مصالحهم الدنيوية والأخروية.

○**قوله:** «**وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «المؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ المرْصُوصِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»[٣]» هذا مثل مثّل به النبي ﷺ لبيان وجوب وحدة المسلمين وتعاونهم فيما بينهم حيث شبه ذلك بتشبيك الأصابع، وفي هذا دليل على وجوب الترابط بين المسلمين.

---

(١) أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (١٣/ ٥١) رقم (١٧٤٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٧٤) رقم (٥٥) من حديث تميم الداري ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٩) رقم (٢٤٤٦)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩) رقم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى ﷺ.



وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَثَلُ المؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»، وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَى بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

وقوله: «مَثَلُ المؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجسَدِ...»[(١)] يؤخذ من هذا الحديث أن الأخوة الإيمانية سبب للتعاطف والتراحم، وفيه الحث على جمع الكلمة والتحذير من الاختلاف، ومشروعية تفقد أحوال المسلمين وقد اشتهر على ألسنة الناس حديث: «مَنْ لا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ المسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»، ومعناه صحيح، لكن سنده ضعيف[(٢)].

○**قوله**: «وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَى بِمُرِّ الْقَضَاءِ» ذكر الـمُصَنِّف هنا عددًا من صفات أهل السنة المتعلقة بأقدار الله التي يقدرها على عباده:

الصفة الأولى: أنهم يأمرون بالصبر على البلاء، والبلاء على نوعين:

الأول: بلاء في الدنيا. **والثاني**: وبلاء في الدين. أما البلاء في الدنيا فالواجب نحوه احتساب الأجر بالصبر، أما البلاء في الدين فالواجب فيه الثبات على الحق، والأخذ بوسائل الوقاية من الفتن والمغريات.

الصفة الثانية: الشكر عند الرخاء، كما بين ذلك النبي ﷺ في قوله: «عَجَبًا لِأَمْرِ المؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٠) رقم (٦٠١١)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩) رقم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ١٣١). وينظر: الفوائد المجموعة ص (٨٣)، وكشف الخفاء (٢/ ١٦١٤)، والسلسلة الضعيفة (١/ ٤٨٣).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٥) رقم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ «أَكْمَلُ المؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا».

✓وأيهما أفضل الصبر على البلاء أو الشكر عند الرخاء؟

الجواب: هذه مسألة: طويلة كتب فيها ابن تيمية وألف فيها ابن القيم عدة الصابرين، وملخص هذه المسألة أن فيها أقوالًا:

الأول: أَنَّ الصبر أفضل.

الثاني: أَنَّ الشكر أفضل.

الثالث: أَنَّ الصبر والشكر بمنزلةٍ واحدةٍ.

والقول الذي انتصر له ابن القيم وشيخه ابن تيمية[1] أن لا يقال بتفضيل أحدهما على الآخر، بل هذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون الشكر في حق شخص أفضل من الصبر، وقد يكون الصبر في حق شخص آخر أفضل من الشكر، فالغني يكون الشكر في حقه أفضل، والفقير يكون الصبر في حقه أفضل، وهكذا.

الصفة الثالثة: الرضى بمر القضاء، وصفة الرضى أعلى من صفة الصبر وهي من أعلى المنازل، وقد تحدث عنها ابن القيم في كتابه مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، وبين رحمه الله عظم فضلها، وعلو مرتبتها.

○**قوله**: «**وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ**» هذه وصية من الـمُصَنِّف تتعلق بأهمية الأخلاق وحسن التعامل مع المسلمين، وأن هذا هو ما يدعو إليه أهل السنة.

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ ... فَإِنْ هُمُو ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢١)، وعدة الصابرين ص (١١١-١٣٤).



وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، ....

وقال آخر:

صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُـهُ   فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِـالأَخْلَاقِ تَسْـتَقِمِ

قال ابن القيم رحمه الله: حسن الخلق يقوم على أربعة أركان:

١- الصبر.   ٢- الشجاعة.   ٣- العفة.   ٤- العدل[1].

○**قوله: «وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ»** استدلالًا بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [النور:٢٢] وهذه من أعظم الصفات: أنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويأخذون العفو ويعرضون عن الجاهلين.

○**وقوله: «وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ»** النصوص كثيرة في الأمر به وفضله، منها: قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣،٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان:١٤،١٥].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٩٤).

وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، ....

ومنها: ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «**سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ**»[1].

○**قوله:** «**وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ**» وقد جاءت نصوص كثيرة في فضل صلة الأرحام من أعظمها: قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢١-٢٤].

ومنها حديث: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ..**»[2].

ومنها: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ الله وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ الله**»[3].

○**قوله:** «**وَحُسْنِ الْجِوَارِ**» وقد جاءت فيه نصوص كثيرة تؤكد على حق الجار في الإسلام من ذلك:

- ما رواه البخاري ومسلم عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ...**»[4].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١١٢) رقم (٥٢٧)، وصحيح مسلم (١/ ٨٩) رقم (٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٣٢) رقم (٦١٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨١) رقم (٢٥٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) صحيح البخاري (٨/ ١١) رقم (٦٠١٩)، وصحيح مسلم (٣/ ١٣٥٢) رقم (٤٨) من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه.



وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالمسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالمْلُوكِ.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ وَالخيَلَاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالِاسْتِطَالَة عَلَى الخلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا، وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

- وفي مسلم عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**»(١).

○**قوله**: «**وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالمسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...**»؛ لقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ ﴾[البقرة:٢١٥].

○**قوله**: «**وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ وَالخيَلَاءِ، وَالْبَغْيِ...**» الفخر: هو التمدح بالخصال، والخيلاء: هو الكبر، جاء في الصحيحين: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»(٢).

ثم جمع هذه الصفات المحمودة بقوله: «**وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا**» هذه جملة كافية في الأخلاق الجامعة.

○**قوله**: «**وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ...**» ذكر المُصَنِّف في ختام هذه الرسالة منهج أهل السنة والجماعة فيما يقولون ويفعلون وأنه محكوم بما جاء في الكتاب والسنة.

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٥) رقم (٢٦٢٥).

(٢) صحيح البخاري (٧/ ١٤١) رقم (٥٧٨٩)، وصحيح مسلم (٣/ ١٦٥٣) رقم (٢٠٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي» صَارَ المتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ المحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَفِيهِمْ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ.

وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الهدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو المنَاقِبِ المأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ المذْكُورَةِ، وَفِيهِمْ الْأَبْدَالُ، وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ المسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ ودرايتهم.

وأن طريقتهم هي دين الإسلام، وهم أصحاب الإسلام الخالص من الشوائب، ولذلك فازوا بهذا اللقب الشريف «أهل السنة والجماعة»، ولهذا وجد منهم طوائف بلغوا المراتب العالية.

○**قوله:** «**وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الهدَى**» أعلام الهدى: أي الأعلام العالمون.

○**قوله:** «**وَفِيهِمْ الْأَبْدَالُ**» الأبدال: جمع بدل، وهم الذين يخلف بعضهم بعضًا في تجديد هذا الدين والدفاع عنه، كما في الحديث: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[1].

هم الأولياء والعباد، وسموا بهذا الاسم لأنه كلما مات أحد منهم أُبدل بآخر فلذلك سموا أبدالًا.

○**قوله:** «**وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ**» أي الأئمة المقتدى بهم كالأئمة الأربعة ثم من جاء بعدهم من أصحاب الفضل والفقه والدين، ولعل كاتب هذه الرسالة من أوائل هؤلاء.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ١٠٩) رقم (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده صحيح.



وَهُمْ الطَّائِفَةُ المنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

نَسْأَلُ الله أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ، وَالله أَعْلَمَ، وَصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

ثم دعا بدعوة قال فيها: «**نَسْأَلُ الله أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ**».

وبهذه الدعوة المباركة ختم المُصَنِّف هذه الرسالة النافعة المباركة التي حوت علمًا عظيمًا رغم صغر حجمها، فنسأل الله أن يجزيه عن الإسلام خير الجزاء.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

د.عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل

القصيم - بريدة

بريد إلكتروني: **al.agal@hotmail.com**

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة